أشباهنا في العالم

4.9.2017

مختارات قصصية

اختيار وترجمة

بثينة الإبراهيم





أشباهنا في العالم
مختارات قصصية

مجموعة قصصية لعدد من كتاب العالم

اختيار وترجمة: بثينة الإبراهيم

أشباهنا في العالم

مختارات قصصية

الكتاب: أشباهنا في العالم
اختيار وترجمة: بثينة الإبراهيم
تصميم الغلاف وإخراج الكتاب: مداد للنشر والتوزيع -دبي
الرقم الدولي للكتاب: ISBN 978-9948-02-430-9
الطبعة الأولى: 2017



@medadpublishing
@medadpublishing
medadpublishing1



www.medadpublishing.com
e-mail: info@medadpublishing.com

مقدمة

قديمًا قال سقراط: "اعرف نفسك!"، وهناك بلا شك طرق متعددة لفعل ذلك، أن تنظر في المرآة مثلًا، أن تحاول رسم صورة شخصية لنفسك، ومهما بدت غير متقنة، فسيكون لديها حتمًا ما تقوله لك عنك، كما يمكنك طبعًا أن تقرأ. قد يبدو القول إن الأدب يمنحك فرصة لتهذيب نفسك، أو للتعرف عليها أولًا قبل أن تفكر في تهذيبها —فقد تكون مهذبة– قد يبدو قولًا مكرورًا جدًا ومملًا جدًا، لكنه في الوقت نفسه حقيقيٌ جدًا!

كان الهدف من ترجمة هذه القصص هو التعرف على جيراننا في الكوكب، على الآخر الذي تظلله السماء ذاتها التي نحيا تحتها، الآخر الذي نحتاج أن نتعرف إليه بثنائية "أنا– أنت" التي شرحها مارتن بوبر في كتاب يحمل الاسم نفسه، فيعرض مفهومه ورؤيته حول الوجود الإنساني، الذي يدور حول زوج من الثنائيات: "أنا – أنت" و"أنا – هو"، فهو يرى أنه من خلال هاتين الثنائيتين يتفاعل الإنسان مع غيره من الناس أو حتى الأشياء. ويجعل مجالات علاقات الإنسان ثلاثة يشرح فيها مستوى الكلام، في الثاني منها وهو الحياة مع البشر، تنفتح أبواب الكلام وهنا يكمن مجال الأنت وقبوله من الأنا، ويجعل العلاقة بين الأنا والأنت مستقلة عن الزمان والمكان، ولذلك فهي لا تخضع لقانون السببية فتظهر الحرية لا الضرورة.

تختلف الأسماء المختارة في هذه القصص الخمس عشرة في الجنسيات والمدارس الأدبية والأساليب والعصور والمواضيع المطروحة، بل وحتى في الشهرة – على الصعيد العربي أو حتى العالمي– في محاولة لإحداث شيء من التوازن بين الأجيال، وإن بدا ذلك هدفًا صعب المنال، إن لم يكن مستحيلًا.

هذه فرصة لنتعرف كقراء على أشباهنا في هذا العالم، فقد نعثر على واحدٍ من أولئك الأربعين الذين قد تمر الحياة دون الالتقاء بهم وجهًا لوجه، لكن الأدب يتيح لك القول: "مرحبًا. إنها فرصة سعيدة أن ألتقي بك"، كما أن هناك احتمالًا مساويًا ألا تكون كذلك!

إيتالو كالفينو (1923-1985)

كاتب وروائي إيطالي ولد في كوبا، كان عضوًا في الحزب الشيوعي حتى الغزو السوفييتي لهنغاريا عام 1956. قال عنه جون آبدايك لدى سماعه نبأ وفاته عام 1985: "كان كالفينو كاتبًا ماهرًا وعبقريًا، فقد نقل الأدب إلى أماكن جديدة لم يدخلها قبلًا، كما عاد به إلى القَصص القديم والخرافة". توفي كالفينو في مستشفى في سيينا بعد ثلاثة عشر يومًا من تعرضه لجلطة. ترجم العديد من أعماله إلى العربية مثل "مدن لا مرئية، الفسكونت المشطور، لو أن مسافرًا في ليلة شتاء، ماركو فالدو" وغيرها، وفاز بعدة جوائز كان آخرها جائزة "ورلد فانتازي أوورد World Fantasy Award" عن كافة أعماله عام 1982.

يذكر ويليام ويفر أن ترجمته الأولى لأحد أعمال كالفينو قد مرت بوقت عصيب، فقد انتقل المحرر الأمريكي الذي طلبها إلى دار نشر أخرى في الوقت الذي كان على ويفر يقترب من إنهاء العمل، فانتقل كالفينو بدوره إلى تلك الدار بناء على نصيحة المترجم، لكن المحرر انتحر، فألغت الدار الجديدة العمل على مجموعة "قصص كونية Cosmicomics " – المجموعة التي اخترنا منها القصة الأولى– ولم تقبل القديمة بعودتهما، ورفض ناشر آخر العمل أيضًا، إلى أن قبلته هيلين وولف في دار هاركورت

بريس جوفانوفيتش، وكانت تلك بداية تعاون كالفينو مع هذه الدار. حظيت المجموعة بعدها بمراجعات رائعة، وفازت الترجمة بجائزة "ذا ناشيونال بوك أوورد The National Book Award".

سنوات ضوئية

كنت ذات ليلة، كعادتي، أراقب السماء بالتلسكوب خاصتي، فرأيت لافتة تتأرجح من مجرة تبعد مئة مليون سنة ضوئية، وقد كتب عليها: "**أنا أراك**". فأجريت حسابات سريعة؛ لقد استغرق ضوء المجرة مئة مليون سنة ليصل إلي، وحيث أنهم رأوا في الأعلى هناك ما كان يحدث بعد مئة مليون عام، فهذا يعني أن اللحظة التي رأوني فيها تعود إلى ما قبل مئة مليون سنة.

لقد استولى عليّ إحساس مروّع حتى قبل أن أراجع مفكرتي لمعرفة ما كنت أفعله ذلك اليوم. قبل مئة مليون سنة تمامًا، بلا زيادة أو نقصان، حدث لي أمر حاولت إخفاءه دومًا. كنت آمل أن ذاك الحدث قد نسي بمرور الوقت، لقد كان مختلفًا تمامًا – كما بدا لي على الأقل– عن سلوكي المعتاد قبل ذلك التاريخ وبعده. لذا كنت مستعدًا للإنكار بهدوء تام إن أراد أحدهم يومًا نبش ذلك ثانية، لا لأنه كان من المستحيل إثباته بدليل فحسب، بل لأنه إذا حدث أمر بظروف استثنائية كهذه – حتى لو أُثبت فعلًا– فإن من غير المحتمل اعتباره حقيقيًا تمامًا حتى بالنسبة لي. وبدلًا من ذلك، من جرم سماوي بعيد، كان أحدهم قد رآني وستكشف القصة ثانية الآن في توقيت خاطئ.

كان من الطبيعي أن أشرح كل ما حدث، وسبب حدوثه، وأن أجعل سلوكي معقولًا تمامًا إن لم أجد له العذر. خطر لي أن أرد على الفور بلافتة مستخدمًا عبارة للدفاع عن نفسي من قبيل "**دعني أشرح لك، أو كنت أحب أن أراك في مكاني**" لكن هذا لن يكون كافيًا وكانت الأمور التي أود قولها كثيرة جدًا لا يمكن اختصارها في جملة قصيرة تقرأ من تلك المسافة كلها. وكان عليّ فوق ذلك أن أحرص ألا أرتكب أي خطأ، وألا أثبت باعتراف صريح ما كانت عبارة "**أنا أراك**" تلمح إليه. باختصار، كان عليّ – قبل أن أكشف نفسي بأي تصريح– أن أعرف ما الذي رأوه بالضبط من المجرة وما الذي لم يروه، ومن أجل هذا كان كل ما أستطيع فعله هو السؤال باستخدام لافتة من قبيل "**هل رأيت كل شيء حقًا أو بعض الأمور فقط؟**" أو ربما "**لنر إن كنت صادقًا: ماذا كنت أفعل؟**"، ثم سيكون علي الانتظار لوقت يتيح لهم رؤية لافتتي، ثم لوقت كافٍ لأرى ردهم وأجري التعديلات المناسبة. سيستغرق كل هذا مئتي مليون سنة أخرى، أو بالأحرى بضع ملايين أخر، لأن المجرات كانت مستمرة بالانفصال أثناء انتقال الصورة جيئة وذهابًا بسرعة الضوء، وبالتالي لم تعد تلك المجرة في المكان الذي رأيتها فيه، بل أبعد قليلًا، وسيتعين على صورة لافتتي ملاحقتها. أعني أنه نظام بطيء مما يجعلني ملزمًا بنقاش تلك الأحداث ثانية بعد مرور أكثر من أربعمئة مليون سنة من حدوثها، تلك الأحداث التي أردت أن ينساها الجميع في أقصر وقت ممكن.

خطر لي أن الإجراء الأفضل لاتباعه هو أن أتصرف كما لو أن شيئًا لم يحدث، وأن أقلل من أهمية ما كانوا قد عرفوه، لذا أسرعت برفع لافتة بوضوح كتبت عليها ببساطة: "**وما أهمية ذلك؟**" فإن كانوا يظنون في المجرة هناك في الأعلى أنهم يحرجونني بعبارة "**أنا أراك**" فسيصيبهم هدوئي بالإحباط، وسيقتنعون أنه ليس هنالك جدوى من التركيز على ذلك الحدث. وفي الوقت نفسه، إن لم يكن لديهم معلومات كثيرة ضدي، فستكون العبارة الغامضة من مثل "**وما أهمية ذلك**" مفيدة لي كمجسّ لأرى إلى أي حد يجب أن آخذ تأكيدهم "**أنا أراك**" على محمل الجد. لن تسمح المسافة التي تفصل بيننا (لقد أبحرت المجرة من مرساها ذي المئة مليون سنة ضوئية في مليون قرن مسافرة في العتمة) بتوضيح أن عبارتي "**وما أهمية ذلك؟**" كانت ردًا على عبارتهم "**أنا أراك**" قبل مئتي مليون سنة ضوئية، لكن لا يبدو من الحكمة أن أضمّن اللافتة الجديدة إشارات واضحة، لأنه إن كانت ذكرى ذلك اليوم قد أصبحت باهتة بعد ثلاثة ملايين قرن، فإنني حتمًا لا أريد أن أكون من يجددها.

ومع ذلك، يجب ألا يقلقني الرأي الذي ربما كوّنوه عني بعد ذلك الحدث الوحيد، فوقائع حياتي، الوقائع التي تلت ذلك اليوم لسنوات وقرون وألفيات تشهد – معظمها على الأقل- لصالحي، لذا عليّ أن أدع الوقائع تتحدث عن نفسها. إذا كانوا قد رأوا، من ذلك الجرم السماوي البعيد، ما كنت أفعله ذات يوم

قبل مئتي مليون سنة، فلا بد أنهم رأوني في اليوم التالي أيضًا، اليوم الذي تلا ذلك اليوم وما بعده، وسيعدّلون تدريجيًا الرأي السلبي الذي كوّنوه سريعًا، بناءً على حدث وحيد. حين فكرت حقًا كم سنة مضت منذ عبارة "**أنا أراك**" أيقنت أن الانطباع السيء قد انمحى حتمًا بمرور الوقت، وحل محله تقييم إيجابي أو واحدٌ — في حالتي- منسجم مع الواقع. لم يكن هذا التأكيد المنطقي على أية حال كافيًا لمنحي الراحة، وإلى أن أحصل على دليل يثبت تغير رأيهم لصالحي سأظل متضايقًا لضبطي في وضع محرج وأن أُعرّف به وأن أُشَد بإحكام إلى ذلك الموقف.

ستقول الآن إنني أستطيع حتمًا تجاهل الرأي الذي يعتنقه بعض الغرباء يعيشون في مجرة بعيدة. ما أقلقني فعلًا لم يكن الرأي المحدود لهذا الجرم السماوي أو ذاك، بل الشك بأن عواقب كونهم رأوني قد تكون لا محدودة، فقد كان هنالك مجرات أخرى كثيرة حول تلك المجرة، بعضها ذات مدى أقصر بمئة مليون سنة ضوئية، وفيها مراقبون منتبهون؛ فقبل أن ألمح لافتة "**أنا أراك**"، كان قد قرأها سكان الأجرام السماوية الأخرى، وسيحدث الأمر نفسه بالتدريج في المجرات الأبعد لاحقًا. وحتى إن لم يعرف أحد إلامَ تشير عبارة "**أنا أراك**" على وجه الدقة، فلن يكون هذا الغموض في صالحي على الأقل، وبما أن الناس مستعدون دومًا لتصديق الأسوأ، فقد لا يكون ما رأوني أفعله على بعد مئة مليون سنة ضوئية في النهاية شيئًا، مقارنة بكل شيء ربما تخيلوا

رؤيته في مكان آخر. سيتضخم الانطباع السيء الذي خلفته في لحظة الطيش تلك قبل مليوني قرن ويتضاعف وينحرف عابرًا كل المجرات الكونية، ولن يكون بإمكاني إنكاره دون أن أفسد الأمر أكثر، فحيث أنني كنت جاهلًا بالاستنتاجات المتطرفة والمشوِهة للسمعة التي قد يخرج بها أولئك الذين لم يروني مباشرة، لم يكن لدي فكرة أين أبدأ إنكاري وأين أنهيه.

واصلت النظر في تلسكوبي كل ليلة، بهذه الحالة الذهنية، وبعد ليلتين وجدت أنهم رفعوا لافتة "**أنا أراك**" على مجرة تبعد مئة مليون سنة ضوئية أيضًا. لا شك أنهم كانوا يشيرون إلى تلك المرة؛ لم يكشف جرم سماوي واحد فقط ما حاولت إخفاءه دومًا، بل كشفه آخر يقع في منطقة فضائية مختلفة تمامًا. وإلى جانب هؤلاء المراقبين الجدد، كنت في الليالي التالية أشاهد باستمرار لافتات تحمل عبارة "**أنا أراك**" مرفوعة على مجرة مختلفة في كل مرة، وحين حسبت السنوات الضوئية، تبين لي أن اللحظة التي رأوني فيها كانت هي نفسها دومًا. أجبت على كل واحدة من لافتات "**أنا أراك**" هذه بلافتة يشوبها فتور متهكم من قبيل "**أوه، حقًا؟ جميل**" أو "**أنا لا أكترث أبدًا**" أو يشوبها استهزاء مستفز من قبيل "**أوه، حسنٌ**" أو "**انظر! إنه أنا!**"، لكنها ظلت تثير تحفظي.

•

رغم أن منطق الموقف قادني إلى التفكير في المستقبل بتفاؤل معقول، إلا أن التقاء كل هذه اللافتات بعبارة "**أنا أراك**" في

نقطة وحيدة من حياتي، كان التقاءً تصادفيًا بلا شك، وفقًا للظروف الاستثنائية للرؤية البينجمية[1] (كان الاستثناء الوحيد جرمًا سماويًا واحدًا، فقد رفعت عليه – بالتوافق مع التاريخ نفسه- لافتة تقول "**لا يمكننا رؤية شيء!**") كل ذلك أبقاني في حال مستمرة من التوتر.

لقد كان الأمر كما لو أن في الفضاء الذي يحوي كل المجرات، كانت صورة ما فعلته ذلك اليوم قد عرضت في مجال يكبر باستمرار، بسرعة الضوء؛ لقد تمكن المراقبون على الأجرام السماوية التي دخلت تدريجيًا في محيط المجال، تمكنوا من رؤية ما حدث. يمكن اعتبار كل واحد من هؤلاء مركزًا لمجال يتسع أيضًا بسرعة الضوء، مستعرضًا الكلمات "**أنا أراك**" على لافتاتهم في كل مكان. في الوقت نفسه، تنتمي هذه الأجرام السماوية إلى مجرات تتحرك بعيدًا عن بعضها بعضًا في الفضاء بسرعة تتناسب مع المسافة، وكل مراقب أشار أنه تلقى رسالة، سيكون قد انتقل مسبقًا عبر الفضاء بسرعة تتزايد باستمرار، قبل أن يتمكن من تلقي إشارة أخرى. عند نقطة معينة ستبلغ المجرات الأبعد التي رأتني (أو رأت لافتة "**أنا أراك**" من مجرة أقرب إلينا أو "**أنا أراك**" من أخرى أبعد قليلًا) عتبة عشر مليارات سنة ضوئية، والتي ستتقدم ثلاثمئة ألف كيلومترًا في الثانية، سرعة الضوء، ولن تكون هناك صورة لها القدرة على مجاراتها بعد ذلك. لذا كنت

1- الواقعة بين النجوم

مهددًا باحتفاظهم برأيهم الخاطئ المؤقت حولي، والذي سيصبح منذ تلك اللحظة وما بعدها حتميًا غير قابل للتعديل، وغير قابل للاستئناف، وبالتالي سيكون على الأرجح صحيحًا وموافقًا للحقيقة.

لذا كان من الواجب إنهاء سوء الفهم بأقصى سرعة ممكنة، ولفعل ذلك كنت آمل أمرًا واحدًا؛ أنهم كانوا يروني في أوقات أخرى بعد ذلك الموقف، حين قدمت صورة أخرى لنفسي، تلك –وليس لدي شك في هذا الإطار- الصورة الحقيقية التي يجب أن يتذكروها. لم يكن هناك شح في الفرص خلال مئتي السنة الضوئية الأخيرة، وبالنسبة لي كانت واحدة واضحة تكفي لتفادي الالتباس. لقد تذكرت الآن مثلًا يومًا كنت فيه أنا حقًا، أعني أنا بالهيئة التي أريد للآخرين أن يروني بها، وقد كان هذا اليوم – بحساب سريع- بالضبط قبل مئة مليون سنة ضوئية. لذا فإنهم في المجرة التي تبعد مئة مليون سنة ضوئية كانوا يرونني في تلك اللحظة، في ذلك الموقف المرضي لغروري، ولا شك أن رأيهم عني قد غيّر ذلك الانطباع الأول المؤقت أو عدّله أو فنّده، الآن أو قريبًا، لأن المسافة التي تفصلنا لم تعد مئة مليون سنة ضوئية، بل مئة مليون سنة وسنة. عليّ الانتظار على أية حال عددًا مماثلًا من السنوات لأسمح للضوء هناك أن يصل هنا (لقد قدرت التاريخ الذي سيحدث فيه ذلك واضعًا في ذهني ثابت هابل[1]) وسأعرف ردة فعلهم حينها.

---

1 -قانون في الفلك ينص على أن السرعة التي تسير بها المجرات تتناسب طردًا مع المسافة الفاصلة بينها وبين الأرض، وإدوين هابل هو فلكي أمريكي أثبت أن المجرات متحركة وليست ثابتة.

لقد تمكن أولئك الذين رأوني في اللحظة x من رؤيتي في اللحظة y بلا شك، وبما أن صورتي في y كانت مقنعة أكثر من x – سأصفها بالأكثر حماسة وبأنها لا تنسى- فسيتذكرونني بـ y، إذ سينسون ما رأوه مني في x على الفور، سيمحى، ربما بعد استحضاري إلى الذاكرة سريعًا، في شيء من الإقصاء كما لو أنهم يقولون: فكروا بالأمر فقط، يمكن للمرء على شاكلة y أن يُرى x صدفة، وستصدقون أنه كذلك رغم أنه y حتمًا.

كنت مبتهجًا نوعًا ما بعدد لافتات **"أنا أراك"** التي ما زالت تظهر في كل الأنحاء، لأن ذاك يعني أن الاهتمام بي كان يزداد، وبالتالي لن يفوّت أحدٌ يومي المشع. ربما سيحظى (أو حظي قبلًا، لا أدري) بأصداء أوسع بكثير من تلك التي توقعتها سابقًا بتواضع، تلك المحدودة بالمحيط، وعلي القول إنها كانت هامشية أيضًا.

عليك أيضًا أن تأخذ بعين الاعتبار تلك الأجرام السماوية التي لم يروني فيها – بسبب سهوهم أو موضعها السيء - لكنهم رأوا لافتة قريبة تحمل عبارة **"أنا أراك"**، فرفعوا لافتات تقول: **"يبدو أنهم رأوك"** أو **"إنهم يستطيعون رؤيتك من مكانهم!"** (عبارات التمست فيها حس الفضول أو السخرية)؛ على تلك الأجرام أيضًا، كانت هناك عيون مصوّبة إليّ، والآن لأنهم فوّتوا فرصة واحدة فلن يسمحوا لأخرى بالإفلات منهم، ولأنهم تلقوا معلومات مراوغة وأقاويل عن x، فسيكونون متأهبين جميعًا لقبول y كما لو أنها الحقيقة الوحيدة المتعلقة بي.

لذا فإن أصداء اللحظة y سيتوالد عبر الزمن والفضاء، وقد تصل إلى المجرات الأكثر بعدًا وسرعة، وسيغفلون هناك كل الصور الأخرى، متحركين بسرعة الضوء التي تبلغ ثلاثمئة ألف كيلو مترًا في الثانية، ومؤمنين بصورتي الحتمية تلك وراء الزمن والفضاء، فتصبح هي الحقيقة التي تحوي في مجالها كل المدى غير المحدود وكل المجالات الأخرى بحقائقها الجزئية والمتناقضة الأخرى.

إن مئة مليون قرن في المحصلة ليست أبدية، لكنها بدت لا نهائية بالنسبة لي. حل الليل أخيرًا، لقد مضى وقت طويل منذ أن وجهت تلسكوبي إلى المجرة نفسها التي رأيتها أول مرة. وضعت عيني اليمنى وقد أغلقت جفنها في نصف إغماضة على العدسة، ورفعت جفني ببطء، وكانت هناك المجرة مؤطرة على نحو رائع، وفي وسطها كانت هناك لافتة لم تتضح كلماتها بعد. ركزت أكثر... كُتب عليها: **"ترالالالا، ترالالالا"** فقط. في اللحظة التي أظهرت فيها جوهر شخصيتي، مع أدلة كثيرة دون أن أجازف بأن يساء فهمي، في تلك اللحظة حين قدمت مفتاح تأويل كل الأفعال لحياتي الماضية والمستقبلية ولتكوين رأي عادل و شامل، ماذا رأى أولئك الذين لم يحظوا بفرصة فحسب بل بالتزام أخلاقي لمراقبة ما كنت أفعله وملاحظته؟ لم يروا شيئًا، لم يكونوا مدركين لأي شيء، لم يلاحظوا أي شيء مميز. لقد أنهكتني معرفة أن جزءًا عظيمًا من سمعتي كان تحت رحمة شخصية غير جديرة بالثقة. لقد مضى إثبات نفسي ذاك- الذي اعتبرته لا يتكرر وفقًا للظروف

الكثيرة المواتية التي رافقته – دون أن يُرى، لقد أُهدر وضاع في منطقة كاملة من الكون، فقط لأن ذلك السيد سمح لنفسه بخمس دقائق من الكسل، من الاسترخاء، من انعدام المسؤولية كما يمكنني تسميتها، فارغ الذهن مثل أحمق، ربما منتشيًا مثل من أفرط في الشرب، ولم يجد شيئًا يكتبه على لافتته سوى خربشة بلا معنى، ربما كانت النغمة السخيفة التي كان يصفر بها متجاهلًا واجباته: **ترالالالا**.

منحتني فكرة واحدة فقط شيئًا من الراحة؛ فكرة أنه كان هناك في المجرات الأخرى مراقبون جادون أكثر، ولم أكن قبل تلك اللحظة مسرورًا بالعدد الكبير للمتفرجين الذين حظي الحدث القديم البائس بمتابعتهم، وسيكونون الآن على استعداد لتفهم الوضع الجديد. كنت أعود إلى التلسكوب ليلة بعد أخرى، فظهرت لي بعد بضع ليالٍ مجرة بكامل بهائها على بعد مسافة مناسبة، وقد رفع عليها لافتة كتب عليها **"لديك قميص داخلي من قماش الفلانيلة"**.

أرهقت عقلي في البحث عن تفسير لذلك وعيناي تملؤهما الدموع. ربما كانوا قد طوروا تلسكوبهم – في ذلك المكان وبمرور الوقت– ليتمكنوا من تسلية أنفسهم بمراقبة التفاصيل الصغيرة، كالقميص الداخلي الذي يرتديه أحدهم سواء أكان من القطن أو من قماش الفانيلة، ولم تعنِ الأمور الباقية شيئًا لهم، لم يلقوا بالًا إليها على الإطلاق. لقد ذهب تصرفي المحترم – هل يمكنني قول

ذلك؟- تصرفي الشهم الكريم ذهب سدىً؛ فقد احتفظوا بعنصر واحد فقط، قميصي الداخلي المصنوع من قماش الفلانيلة، قميص داخلي ممتاز بلا شك، وربما كانت ملاحظتهم ستسعدني في وقت آخر، لكن ليس في هذه اللحظة، أوه لا ليس في هذه اللحظة.

كان لدي في حالتي الكثير من الشهود الآخرين بانتظاري؛ وقد كان من الطبيعي أن يفشل بعضهم، من بين العدد الكلي، في متابعتي. لست شخصًا يضطرب لعقبة كهذه، في الحقيقة لقد تأكد لي من مجرة أبعد قليلًا أن أحدهم رأى كيف تصرفت على نحو رائعة وقيّم فعلي على نحو مناسب بل بحماس، فقد كتب على لافتة: **"ذلك الشخص ذكي فعلًا"**، وقد قرأتها برضا تام - فكر بالأمر، رضا أكد لي توقعي فقط، أو بالأحرى إيماني بأن مزاياي ستحظى بتقدير مناسب- لكن لفتت نظري عبارة **"ذلك الشخص"** حينها. لماذا سموني **"ذلك الشخص"** إن كانوا يعرفوني ورأوني قبلًا، حتى إن كان ذلك في ظرف تعيس؟ ألا يجب أن أكون مألوفًا أكثر بالنسبة لهم؟ حسنت تركيز تلسكوبي بقليل من التعديل واكتشفت جملة أخرى في أسفل تلك اللافتة نفسها مكتوبة بحروف أصغر: **"من هو بحق الجحيم؟"** هل يمكنك تخيل حظ أسوأ؟ أولئك الذين كانت لديهم فرصة لفهم من أكون حقًا لم يعرفوني، لم يربطوا هذا الحدث المستحق للثناء بذلك الحادث المستهجَن قبل مئتي مليون سنة ضوئية، ما يعني

أن ذلك الحادث المشؤوم ما يزال متعلقًا بي، وليس الآخر الذي ظل حكاية لا شخصية ومجهولة ولا تنتمي لتاريخ أحد.

كان أول ما خطر لي أن ألوّح بلافتة تقول: "**إنه أنا!**" لكني تخليت عن الفكرة، فما الجدوى منها؟ سيرونها بعد انقضاء أكثر من مئة مليون سنة بعد وقوع اللحظة x، وكنا نقترب من نصف مليار علامة؛ ولكي أحرص على أن أكون مفهومًا علي أن أحدّد ذلك الحدث وأنبشه ثانية، وكان هذا ما أردت تجنبه. لقد فقدت ثقتي بنفسي، وخشيت ألا أحظى بتعديلات أكبر من المجرات الأخرى أيضًا، لقد رآني أولئك على نحو مجتزأ متشظٍ لا مبالٍ، أو فهموا ما كان يجري إلى حدٍ معين، مغفلين السمة الأساسية دون أن يحللوا عناصر شخصيتي التي كانت تتضح من موقف لآخر.

كانت هناك لافتة واحدة فقط قالت ما كنت أتوقعه فعلًا: "**أتعرف؟ إنك ذكيٌ حقًا!**"، فأسرعت لتصفح دفتري لأرى ردود الفعل التي وصلتني من تلك المجرة عند اللحظة x، وفوجئت أنه كان المكان نفسه الذي رفعت عليه لافتة تقول: "**لا يمكننا رؤية شيء**". لا شك أنني حظيت بتقدير أكبر في تلك المنطقة من الكون، لست أنكر ذلك وعلي أن أبتهج في النهاية، لكني لم أشعر بالرضا مطلقًا. وأدركت أنني لم أكترث بأولئك المعجبين لأنهم ليسوا ممن كوّن عني رأيًا سيئًا في وقت سابق، فلم يصلني تأكيد منهم بأن اللحظة y قد أنكرت اللحظة x ومحتها، واستمر شعوري بالقلق، وقد ضاعفه طول الوقت وجهلي إن كانت أسباب فزعي قائمة أو إن كان قد تبددت.

كانت اللحظة x واللحظة y بالنسبة للمراقبين المتناثرين في أنحاء الكون طبعًا مجرد لحظتين من بين اللحظات اللانهائية الجديرة بالمراقبة، وقد ظهرت كل ليلة على المجرات الواقعة على بعد مسافات مختلفة لافتات تشير إلى حوادث أخرى، لافتات تقول: **"امض قدمًا فإنك على صواب"**، **"ها أنت ثانية"**، **"لقد حذرتك أن تنتبه لسلوكك"**. كنت أجري حسابات لكل واحدة منها، لأحسب السنوات الضوئية من هنا إلى هناك، والسنوات الضوئية من هناك إلى هنا، وأتأكد من الحدث الذي يشيرون إليه؛ كل أحداث حياتي، كل مرة عبثت فيها بأنفي، كل المرات التي أفلحت فيها بالقفز من عربة الترام، ما زالت هناك تسافر من مجرة لأخرى، وكانوا يرونها ويعلقون عليها ويصدرون أحكامهم. لم تكن التعليقات والأحكام متعلقة دومًا بما أفعل، فقد كانت اللافتة **"تشك تشك"** ردًا على تبرعي بثلث راتبي، واللافتة **"أعجبتني هذه المرة"** ردًا على نسياني لمخطوط بحث كلفني سنوات من الدراسة؛ وكانت **"انتبه للمسوّدات"** ردًا على بحثي التمهيدي المشهور في جامعة غوتنغن.

كان بإمكاني أن أتوقف عن القلق بطريقة ما، فليس هناك فعل، حسن أو سيء، مهدور تمامًا، ولا بد أنه احتفظ بصدى له على الأقل، أو بالأحرى بعدة أصداء اختلفت على امتداد الكون، وفي المجال الذي كان يتسع مولّدًا مجالات أخرى، لكن الأصداء كانت متقطعة تتنازع معلومات متفرقة ثانوية لا تتضح بها العلاقة

بين أفعالي، ولم يكن حدث جديد قادر على تفسير واحد قديم أو تصحيحه، لذا ظلت إلى جانب بعضها البعض، تزيد لافتة أو تنقص واحدة، مثل سلسلة طويلة متعددة الحدود ولا يمكن اختصارها إلى تعبير بسيط.

ما الذي يمكنني فعله في هذه اللحظة؟ كان الاستمرار بالقلق بشأن الماضي عبثيًا، فقد مضى بالطريقة التي مضى بها، وعلي أن أحرص أن يكون المستقبل أفضل. كان الأمر المهم، في كل ما فعلت، أن يتضح ما كان جوهريًا وأين يجب تركيز القلق وما الذي يتعين أو لا يتعين ملاحظته. فجهزت لافتة توجيهية ضخمة، واحدة من تلك الأيدي الكبيرة بسبابة موجهة. حين أقوم بفعل أردت جذب الانتباه إليه يكون علي أن أرفع هذه اللافتة فقط، محاولًا أن أجعل الإصبع يشير إلى التفصيل الأكثر أهمية في المشهد، وخصصت لافتة بإبهام يشير إلى الاتجاه المعاكس للاتجاه الذي أنعطف فيه لأشتت الانتباه أرفعه في اللحظة التي لا أحبذ أن أكون مراقبًا فيها.

كل ما علي فعله هو حمل هاتين اللافتتين أينما ذهبت ورفع إحداهما حسب الموقف، لقد كانت عملية طويلة الأجل طبعًا، وسيتأخر المراقبون الذين يبعدون مئات الآلاف من السنين الضوئية عن إدراك ما كنت أفعله بمئات ألوف الألفيات، وسيكون علي انتظار ألفيات أكثر لقراءة ردودهم. لم يكن من الممكن تفادي هذا التأخير؛ ولكن كان هناك — لسوء الحظ- عقبة أخرى لم أتوقعها، ما الذي سأفعله إن اكتشفت أنني رفعت اللافتة الخطأ؟

مثلًا، كنت متأكدًا في لحظة ما أنني على وشك القيام بأمر سيكسبني الاحترام والوجاهة فأسرعت بالتلويح باللافتة ذات السبابة التي تشير إليّ، وحدث أنني ارتكبت خطأ مريعًا في اللحظة نفسها، أمرًا لا يغتفر، مثالًا على دناءة الإنسان يجعلك تغرق في خجلك. لكن الأمر انتهى، كانت تلك الصورة — باللافتة ذات الإشارة– تبحر في الفضاء ولا يمكن لأحد أن يوقفها، لقد كانت تلتهم السنوات الضوئية وتنتشر بين المجرات وتثير الضحكات والتعليقات والسخرية في ملايين من القرون المستقبلية، والتي ستعود إلي من عمق الألفيات وستجبرني على اختلاق أعذار أكثر خرقًا ومحاولات محرجة للتصحيح.

اضطررت في يوم آخر لمواجهة وضع بغيض، واحد من تلك المواقف في الحياة التي يضطر المرء لمعايشتها، وهو يعرف أنه مهما حدث فلن تكون هنالك طريقة للظهور بمظهر حسن. كنت قد حصنت نفسي بلافتة الإبهام الذي يشير إلى الاتجاه الآخر وانطلقت، وعلى نحو مفاجئ، أظهرت في ذلك الموقف الحرج والخطير سرعة بديهة واتزانًا ولباقة وتيقنًا لم يتوقعها أحد مني، أو على الأقل أنا نفسي من بين الجميع، فقد كشفت فجأة عن مواهب مخبوءة دلت على نضج الشخصية، وفي أثناء ذلك كانت اللافتة تصرف نظر المراقبين وجعلتهم ينظرون إلى أصيص قريب لنباتات الزينة.

ظلت حالات مثل هذه – التي كنت أظنها استثناءات في البداية لسذاجتي- ظلت تحدث بتكرار أكثر وأكثر. أدركت متأخرًا جدًا أنني كشفت ما لا أرغب لهم برؤيته وأخفيت ما أردت كشفه؛ ولم تكن هنالك وسيلة للوصول قبل الصورة وتنبيههم بألا يلقوا بالًا للافتة.

حاولت صنع لافتة ثالثة كتب عليها كلمة **"تصحيح"**، لأرفعها إن أردت إلغاء اللافتة السابقة، ولكن كانت هذه الصورة ستُرى في كل مجرة بعد تلك التي قصدت تصحيحها، وحينها سيكون الضرر قد وقع وسأبدو سخيفًا على نحو مضاعف، وأن إلغاءها بلافتة أخرى **"تجاهل التصحيح"** سيكون بلا جدوى بشكل مماثل.

مضيت في حياتي، منتظرًا اللحظة البعيدة التي ستصلني فيها التعليقات على الأحداث الجديدة من المجرات، مشحونة بقلقي واضطرابي؛ ثم سأكون قادرًا على الإنكار باعثًا رسائل ردي التي كنت أفكر فيها مسبقًا، يفرض الموقف كل واحدة منها. أثناء ذلك كانت المجرات التي كشفتني أكثر، تدور حول عتبة مليارات السنوات الضوئية بسرعة سيتعين على رسائلي، لتصل إليها، أن تكافح في الفضاء وهي تتشبث بطيرانها السريع، ثم ستختفي واحدة تلو الأخرى من أفق عشر المليارات سنة ضوئية الذي لا يمكن رؤية شيء مرئي خلفه، وستحمل معها حكماً نهائيًا.

انتابني شيء من الراحة، كما لو أن السلام قد هبط علي بعد اللحظة التي لا يمكن فيها إضافة شيء أو محوه في ذلك السجل المستبد من سوء الفهم، والمجرات التي أخذت تتقلص تدريجيًا حتى الذَنَب الأخير من آخر شعاع لامع، وهي تخرج من مجال العتمة، وبدا أنها جلبت معها الحقيقة المحتملة الوحيدة عني ولم أستطع الانتظار حتى تسلك كلها واحدة تلو الأخرى هذا المسار.

دوروثي باركر (1893-1967)

شاعرة و قاصة وناقدة أمريكية، اشتهرت بحس الدعابة اللاذع والفكاهة الساخرة. كانت عضوًا مؤسسًا في مجموعة "طاولة ألجونكوين المستديرة"، وهي مجموعة لعدد من كتّاب نيويورك ونقادها وممثليها، ضمت باركر إلى جانب فرانكلين بيرس أدامز (صحفي) وروبرت بينشلي (ممثل) وجورج س كوفمان (كاتب ومخرج مسرحي) وآخرين.

عملت في العشرين من عمرها في مجلة "فوغ Vogue"، ثم انتقلت إلى مجلة "فانيتي فير Vanity Fair "، واختيرت بعدها لتكون مسؤولة عن صفحة النقد المسرحي، ولم تكن أصغر الكتاب حينها فحسب، بل كانت الكاتبة الوحيدة.

توفيت بنوبة قلبية، وكانت قد أوصت بما تملك لمارتن لوثر كينغ، وبعد وفاته آلت الممتلكات إلى "الجمعية الوطنية لتمكين الملونين NAACP"، وقد دفن رمادها في الحديقة التذكارية في المقر الرئيسي للمنظمة في بالتيمور.

يقول عنها الشاعر الإنجليزي جون كيتس في السيرة التي كتبها عنها بعنوان "ربما عشت أيضًا You might as well live"، وهو البيت الأخير من قصيدتها "سيرة ذاتية Resume" إن القصص التي كانت تكتبها كانت بجودة ما يكتب همنغواي،

وكان هذا رأي فنسنت شيين الذي يضعها في صف واحد مع همنغواي ووليام فولكنر ويرى أن ما كتبته كان حقيقيًا رغم أنها لم تكن شكسبير.

مكالمة هاتفية

أرجوك يا إلهي، دعه يتصل بي الآن. لن أطلب شيئًا آخر منك، لن أفعل حقًّا، أنا لا أطلب الكثير. سيكون ذلك هينًا عليك يا إلهي، أمرًا هينًا جدًا. دعه فقط يتصل بي الآن، أرجوك يا إلهي، أتوسل إليك، أرجوك.

لربما يرن الهاتف لو أنني لا أشغل نفسي بالتفكير بذلك، يحدث ذلك أحيانًا. لو أنني أستطيع التفكير بأمر آخر، لو أنني أستطيع التفكير بأمر آخر. سأعد بصبرٍ حتى خمسمئة خمسة فخمسة، خمسة، عشرة، خمسة عشر، عشرون، خمسة وعشرون، ثلاثون، خمسة وثلاثون، أربعون، خمسة وأربعون، خمسون... أوه، أرجوك رنّ أرجوك.

هذه آخر مرة سأنظر فيها إلى الساعة، لن أنظر إليها ثانية. إنها السابعة و عشر دقائق. قال إنه سيتصل في الخامسة: "سأتصل بك عند الخامسة يا حبيبتي"، أظنه قال حبيبتي حينئذٍ، أنا شبه متأكدة أنه قالها حينها. أعلم أنه دعاني "حبيبتي" مرتين، وكانت الأخرى حين قال إلى اللقاء. "إلى اللقاء يا حبيبتي". لقد كان منشغلًا ولم يستطع التحدث مطولًا في العمل، لكنه دعاني "حبيبتي" مرتين. لم يسبقْ أن اعترض على اتصالي به. أعرف أنه ليس عليك الاستمرار في الاتصال بهم، إنهم لا يحبون ذلك، حين

تفعلين ذلك فسيعرفون أنك تفكرين بهم وترغبين بهم، وهذا ما يجعلهم يكرهونك، لكني لم أتصل به منذ ثلاثة أيام- لم أفعل منذ ثلاثة أيام، وكان كل ما قلته سؤاله عن حاله، لقد بدا الأمر كما لو أنه تلقى اتصالًا من أي أحد، ولم يكن ليمانع في ذلك. لا يمكن أن يخطر له أنني أزعجه، فقد قال: "لا، أنت لا تضايقينني طبعًا"، وقال إنه سيتصل بي. لم يكن مضطرًا لقول ذلك، ولم أطلب منه الاتصال، أنا لم أفعل حقًا، ولا أظنه يقول إنه سيتصل بي ولا يفعل. أرجوك يا إلهي، لا تدعه يفعل ذلك، أرجوك.

"سأتصل بك الساعة الخامسة يا حبيبتي، إلى اللقاء يا حبيبتي". لقد كان مشغولًا وفي عجلة من أمره، وكان محاطًا بآخرين، لكنه دعاني "حبيبتي" مرتين. إنها لي، إنها لي، حتى إن لم أره بعدها ثانية أبدًا. أوه، لكن ذلك قليل جدًا، إنه ليس كافيًا. إن لم أره ثانية فلن يكون هنالك شيء كافٍ. أرجوك يا إلهي، دعني أره مرة أخرى، أرجوك، أريد ذلك بشدة، أريده بشدة، أريده بشدة. سأكون صالحة يا إلهي، وسأحاول أن أكون أفضل، سأفعل، إن منحتني فرصة رؤيته ثانية، إن جعلته يتصل بي، أوه، دعه يفعل ذلك الآن.

آه، لا تجعل صلواتي تبدو تافهة جدًا بالنسبة إليك، يا إلهي. أنت تجلس هناك، مسنًا وأبيض جدًا محاطًا بكل الملائكة والنجوم المنزلقة حولك، وآتي إليك بصلاتي حول مكالمة هاتفية. آه، لا تضحك، أنت ترى الأمر يا إلهي، لكنك لا تعرف الشعور.

إنك هناك آمن، على عرشك وكل تلك الزرقة تدوّم تحتك. لا شيء يمكنه المساس بك، لا يمكن لأحد أن يعصر قلبك بيديه. إنها معاناة يا إلهي، معاناة قاسية، ألن تساعدني؟ بحق ابنك، ساعدني. قلت إنك ستفعل كل ما يطلب منك باسمه. أوه يا إلهي، باسم ابنك الأوحد المحبوب، يسوع المسيح، سيدنا، اجعله يتصل بي الآن.

علي أن أكف عن هذا. يجب ألا أكون هكذا. اسمعي، لنفترض أن رجلًا قال إنه سيتصل بامرأة، ثم حدث أمر ما ولم يفعل، أليس كذلك؟ لماذا؟ لأنه يحدث في كل أنحاء العالم، في هذه اللحظة بالذات. أوه، وما يعنيني بما يجري في كل أنحاء العالم؟ لماذا لا يرن الهاتف؟ لماذا لا يرن، لماذا؟ ألا يمكنك الرنين؟ آه، أرجوك، ألا يمكنك ذلك؟ أيها الشيء اللعين القبيح البراق، سيؤذيك أن ترن، أليس كذلك؟ أوه، سيؤذيك ذلك. عليك اللعنة، سأقتلع جذورك القذرة من الجدار وسأحطم وجهك الأسود الأنيق إلى قطع صغيرة، عليك اللعنة.

لا، لا، لا. علي أن أكف. علي أن أفكر بأمر آخر. إليكم ما سأفعله، سأضع الساعة في غرفة أخرى، عندها لن أتمكن من النظر إليها، وإن احتجت لذلك سيكون علي الذهاب إلى غرفة النوم، وسيكون ذلك أمرًا أقوم به. ربما سيتصل بي قبل أن أنظر إليها ثانية. سأكون طيبة جدًا معه إن اتصل بي، وإن قال إنه لن يتمكن من رؤيتي هذه الليلة سأقول: "أوه، لا بأس يا عزيزي، لا

بأس بذلك طبعًا" وسأكون كما كنت حين التقيت به أول مرة، عندها قد يحبني ثانية. لقد كنت لطيفة دومًا، أوه، من السهل أن تكون لطيفًا مع الناس قبل أن تقع في حبهم.

لا بد أنه ما زال يحبني قليلًا، لم يكن ليدعوني "حبيبتي" مرتين هذا اليوم ما لم يكن يحبني قليلًا. لا يختفي الحب كله، إن كان ما زال يحبني بعض الشيء، حتى لو كان يحبني قليلًا جدًا. هل ترى يا إلهي، لو أنك تجعله فقط يتصل بي، لن أطلب منك شيئًا بعدها ثانية. سأكون لطيفة معه، سأكون مبتهجة، سأعود كما كنت، وعندها سيحبني ثانية، وعندها لن يكون علي سؤالك لأي شيء أكثر. ألا ترى يا إلهي؟ إذن هلا جعلته يتصل بي من فضلك؟ هلا فعلت، أرجوك أرجوك أرجوك؟

هل تعاقبني يا إلهي لأنني لم أكن صالحة؟ هل أنت غاضب مني لأني فعلت ذلك؟ أوه، لكن يا إلهي هناك الكثير من الناس السيئين، لا يمكن أن تكون قاسيًا معي أنا فقط، كما أن الأمر لم يكن سيئًا جدًا، لا يمكن أن يكون سيئًا. لم نؤذ أحدًا يا إلهي، تكون الأمور سيئة حين نعرض الآخرين للأذى، ونحن لم نؤذ روحًا واحدة، أنت تعلم ذلك، وتعلم أن الأمر لم يكن سيئًا، أليس كذلك يا إلهي؟ إذن لمَ لا تجعله يتصل بي الآن؟

إن لم يتصل بي سأتأكد أن الرب ليس راضيًا عني. سأعد حتى الخمسمئة خمسة فخمسة، وإن لم يتصل بي حينها سأعرف أن

الرب لن يساعدني ثانية. ستكون هذه علامة. خمسة، عشرة، خمسة عشر، عشرون، خمسة وعشرون، ثلاثون، خمسة وثلاثون، أربعون، خمسة وأربعون، خمسون، خمسة وخمسون... لقد كان الأمر سيئًا، أعرف ذلك. حسنٌ يا إلهي أرسلني إلى الجحيم، تظن أنك تخيفني بجحيمك، أليس كذلك؟ أنت تظن أن جحيمك أسوأ من جحيمي.

ليس علي فعل هذا، ليس علي فعل هذا. لنفترض أنه سيتصل متأخرًا قليلًا، وليس هذا أمرًا يدعو للهلع. ربما لن يتصل، ربما سيأتي مباشرة دون مهاتفتي. سيصبح نزقًا إن لاحظ أنني كنت أبكي، فالرجال لا يحبون بكاءك. وهو لا يبكي، أتمنى لو استطعت أن أُبكيه، أتمنى لو أبكيته وأن يطأ الأرض وهو يشعر بثقل وتضخم في قلبه الذي يتقيح داخله، أتمنى لو استطعت إيذاءه كالجحيم.

هو لا يتمنى أن يحدث ذلك لي، ولا أظنه يعرف حتى كيف يجعلني أشعر. أتمنى أن يعرف دون أن أخبره. لا يحب الرجال أن تخبريهم أنهم يبكونك، لا يحبون أن تخبريهم كم أنت تعسة بسببهم، لأنك إن فعلت فسيرون أنك مستحوذة ومتطلبة، ومن ثم سيكرهونك. إنهم يكرهونك كلما تفوهت بما تفكرين به. عليك دومًا أن تمارسي حيلًا صغيرة. أوه، ظننت أننا لسنا بحاجة لذلك؛ ظننت أن ما بيننا كان كبيرًا بما يكفي لقول ما أفكر فيه. أظن أنك لا تستطيعين، مطلقًا. أظن أنه ليس هنالك شيء

كبير بما يكفي لفعل ذلك. أوه، لو أنه يتصل فقط، لن أخبره أنني كنت حزينة بسببه. إنهم يكرهون الحزينات، سأكون لطيفة ومبتهجة جدًا، فلا يستطيع عندها إلا أن يحبني، لو أنه يتصل فقط، لو أنه فقط يتصل.

ربما كان هذا ما سيفعله؛ ربما سيأتي دون الاتصال بي، ربما يكون في طريقه الآن، لا بد أن هناك ما حدث له. لا، ليس هنالك ما يمكن أن يحدث له، لا يمكنني تخيل أي شيء يصيبه، لم أتصور مرة أنه دهس، لم أتخيله مستلقيًا هامدًا وطويلًا وميتًا. أتمنى لو أنه ميت. إنها أمنية مريعة. إنها أمنية جميلة. إن كان ميتًا فسيكون لي، إن كان ميتًا فلن أفكر في هذه اللحظة أو الأسابيع القليلة الماضية، بل سأتذكر اللحظات السعيدة فقط، ستكون كلها جميلة. أتمنى لو أنه ميت، أتمنى لو أنه ميت، ميت.

هذه سخافة. من السخافة تمني موت الآخرين فقط لأنهم لا يتصلون بك في الوقت الذي حددوه لذلك، ربما كانت الساعة متقدمة، لا أعرف إن كانت سليمة، ربما يكون متأخرًا قليلًا. يمكن لأي شيء أن يؤخره قليلًا، ربما تعين عليه البقاء في المكتب، ربما عاد إلى المنزل ليتصل بي من هناك وزاره أحدهم. لا يحب مهاتفتي في حضور الآخرين. ربما كان قلقًا، قليلًا، قليلًا حول إبقائي منتظرة، ربما يتمنى لو أنني هاتفته، يمكنني فعل ذلك، يمكنني مهاتفته.

ليس علي ذلك، ليس علي ذلك، ليس علي ذلك. أوه أرجوك يا إلهي لا تجعلني أتصل به، أرجوك جنبني فعل ذلك. أعلم يا إلهي كما تعلم أنه لو كان قلقًا علي، فسيتصل بي أينما كان ومهما يكن عدد الأشخاص الذين يحيطون به، أرجوك اجعلني أتأكد من يا إلهي، لا تجعلني أواصل الأمل، لا تدعني أقول لنفسي أشياء مهدئة، أرجوك لا تجعلني آمل يا إلهي العزيز، أرجوك لا تفعل.

لن أتصل به، لن أتصل به ثانية أبدًا ما حييت. سيتعفن في الجحيم. ليس عليك منحي القوة يا إلهي لأنني أملكها. إن كان يرغب بي فسيصل إلي، إنه يعرف مكاني، ويعرف أنني أنتظر هنا، إنه واثق جدًا مني، واثق جدًا. أتساءل لماذا يكرهونك حين يكونون واثقين من وجودك. أظن أنه من الجميل أن تكون واثقًا.

سيكون من السهل جدًا الاتصال به، وسأعرف عندها. ربما لن يكون ذلك تصرفًا طائشًا، ربما لن يمانع، ربما سيعجبه، ربما يحاول الوصول إلي. يحاول الناس ويحاولون أحيانًا الوصول إليك عبر الهاتف ويقولون إنهم لا يتلقون ردًا، أنا لا أقول ذلك لأواسي نفسي لكن ذلك يحدث حقًا. أنت تعرف أن ذلك يحدث فعلًا يا إلهي. أوه يا إلهي أبعدني عن الهاتف، أبعدني. اجعلني أحتفظ بقليل من الكبرياء، أظنني سأكون بحاجة له، يا إلهي، أظنه سيكون كل ما أملك.

أوه، بمَ يفيد الكبرياء إن لم أكن أحتمل ألا أتحدث إليه؟ كبرياء كهذا ليس إلا شيئًا رثًا وسخيفًا وحقيرًا، أما الكبرياء الحقيقي، الكبرياء العظيم يكمن في عدم التحلي بأي كبرياء. أنا لا أقول ذلك لأنني أرغب بمكالمته، لا، هذه حقيقة، وأعرف أن تلك حقيقة، وسأكون عظيمة، سأتجاوز صغائر الكبرياء.

أرجوك يا إلهي، امنعني من مهاتفته، أرجوك يا إلهي.

أنا لا أرى ما علاقة الكبرياء بهذا، إن هذا أمر تافه لأقحم الكبرياء في الموضوع ولإثارة كل هذه الجلبة حوله. ربما أكون أسأت فهمه، ربما قال لي أن أتصل به في الخامسة، "اتصلي بي عند الخامسة يا حبيبتي"، ربما قال ذلك، من المستحيل أنني لم أسمع جيدًا. "اتصلي بي عند الخامسة" أنا واثقة تقريبًا من أنه قال ذلك. يا إلهي، لا تجعلني أحدث نفسي على هذا النحو، امنحني اليقين، امنحني اليقين.

سأفكر بأمر آخر، سأجلس بهدوء. لو أنني أتمكن من الجلوس، ربما يمكنني أن أقرأ. أوه، كل الكتب عن عشاق يحبون بعضهم بعضًا بصدق وبلطافة، ما الذي سيجعلهم يكتبون عن ذلك؟ ألا يعلمون أنه ليس حقيقيًا؟ ألا يعرفون أنها أكاذيب؟ أكاذيب ملعونة؟ ما الذي سيقولونه حول ذلك لو كانوا يعلمون كم هو مؤلم؟ اللعنة عليهم، اللعنة عليهم، اللعنة.

لن أفعل. سأكون هادئة، ليس هذا أمرًا يستدعي القلق بشأنه.

اسمعي، لنفترض أنه لم يكن شخصًا أعرفه حق المعرفة، لنفترض أنه امرأة أخرى، عندها سأتصل وأقول "حسن، حبًا بالله ما الذي حدث لك؟" هذا ماكنت لأفعله، ولم أكن لأفكر بذلك. لم لا يمكنني أن أكون طبيعية وعادية فقط لأنني أحبه؟ يمكنني أن أكون كذلك. سأتصل به، وسأكون لطيفة ومبتهجة. وإن لم أكن كذلك يا إلهي، فلا تجعلني أتصل به، لا تفعل، لا تفعل، لا تفعل.

يا إلهي، هل حقًا لن تدعه يتصل بي؟ هل أنت متأكد يا إلهي؟ هلا عطفت علي؟ أنا حتى لا أطلب منك أن تجعله يتصل بي في هذه اللحظة، اجعله يا إلهي يتصل بي بعد قليل. سأعد حتى الخمسمئة خمسة فخمسة، وسأفعل ذلك ببطء وبإنصاف، وإن لم يتصل بي فسأهاتفه حينئذٍ، سأفعل. أوه، أرجوك يا إلهي العزيز، إلهي اللطيف، أبانا المبارك في السموات، دعه يتصل بي قبل ذلك، أرجوك يا إلهي، أرجوك.

خمسة، عشرة، خمسة عشر، عشرون، خمسة وعشرون، ثلاثون، خمسة وثلاثون....

هيرومي كاواكامي (1958)

روائية وناقدة وشاعرة هايكو يابانية. اشتهرت بنمط كتابتها الغريب، وقد نشرت أولى مجموعاتها القصصية عام 1994 بعنوان الرب. حصلت على عدة جوائز منها جائزة تانيزاكي عام 2001، وجائزة الإندبندنت للأدب الأجنبي عام 2014، ووصلت إلى القائمة القصيرة في جائزة "مان أسيان Man Asian Literary Prize" عن رواية "الحقيبة" عام 2012.

تقول كاواكامي: "ربما شغلني التفكير بالموت طوال الوقت، ولكن هذا ما تفعله حين تكتب الأدب، أن تفكر بالموت. إنه الأمر الوحيد الذي لا يمكن لأحد – لا أحد على الإطلاق- أن يتحاشاه، الأمر الوحيد الذي يحدث لكل البشر بلا استثناء. لقد أدركت أن هذا هو الموت بعد أن بدأت بكتابة الأدب. كان علي أن أعرف ذلك قبلًا، لكني لم أفعل. لقد فهمته حين كان علي العيش مع شخصيات قصصي، ودهشت لكوني لم أفهمه من موت أي أحد في حياتي، بل من الأشخاص الذين لم يموتوا بعد، الذين يعيشون في رواياتي".

نشرت القصة المختارة هنا "الخلد أو موجيرا ووغورا" أول مرة في مجموعة قصصية بعنوان "قصر ملك البحر" عام 2002.

الخلد (موجيرا ووغورا)[1]

دعني أخبرك عن صباحاتي.

أنا من أولئك الذين ينهضون باكرًا، وأستيقظ قبل زوجتي غالبًا.

حين تشرق الشمس، تتسلل أشعة رفيعة من الضوء من خلال الصدوع في السقف، فأكتفي بالاستلقاء هناك لوهلة محدقًا بكل أشعة الضوء تلك التي تتسرب إلى الداخل.

لا يلوح الضوء في الأيام الغائمة أو الماطرة، حتى لو انتظرته. في المرات النادرة التي تثلج فيها، تبدو الغرفة مضيئة قليلًا قبل طلوع الفجر.

فراشي دافئ لكن قمة أنفي باردة، أحتاج الذهاب إلى الحمام فورًا لكن يصعب علي مغادرة فراشي.

تستيقظ زوجتي بعد مدة وتدخل الحمام قبل أن أتمكن من النهوض. زوجتي كائنة نشيطة، فحالما تستيقظ تبدأ بتنظيف المنزل ووضع القدر على النار وهي تهمهم طوال اليوم.

أجهز نفسي أخيرًا، وفي الوقت الذي أبدأ فيه جولاتي لتفقد البشر الذين التقطتهم يوم أمس أو أمس الأول أو حتى قبل

1- موجيرا ووغورا (Mogera Wogura) هو الخلد الياباني، نوع من أنواع الخلد يعيش في شرق آسيا.

ذلك، تضطرم نار حمراء ساطعة في الموقد ويغلي الماء بعيدًا في غلاية صافرة، ويعبق المنزل بأكمله برائحة الخبز الرائعة، زوجتي تعمل بسرعة.

يسكن البشر الذين التقطتهم في الغرفة المجاورة.

يفترش معظمهم الأرض، وهنالك أطنان من الفُرش والبطانيات والوسائد. يسألنا قليل من البشر إن كنا لا نمانع في استخدامهم لها، ويدفن بعضهم نفسه في البطانيات المكدسة حالما ندخلها إليهم،ويقوم البعض بدفع البشر المتمددين قبلًا على الأرض ويستلقون في فرشهم الدافئة الجميلة. بينما يظل البعض يدور في أرجاء المنزل، واطئًا البشر المستلقين على الأرض. هكذا هم البشر.

ورغم ذلك، يستقر الجميع بعد نصف يوم تقريبًا في مكانه أو مقاطعته الخاصة أو غيرها، ويبدأ الصمت يخيم على المنزل.

في كل صباح أذهب في جولة وأربت على كل واحد من البشر بضع تربيتات على الكتف، فهذا يتيح لي أولًا التأكد من أنهم ما يزالون على قيد الحياة، وثانيًا يمنحني الفرصة لمعرفة إن كانوا يرغبون بالمغادرة مباشرة أو أنهم يفضلون البقاء لوقت أطول.

أسحب الموتى خارج المنزل وألقي بهم في حفرة قد حفرت خارجًا، عميقة في الأرض. تمتد الحفرة لأكثر من مئة متر تحت سطح الأرض. لم أحفرها، ولا زوجتي فعلت. لقد حفرها أسلافنا وفق سرعتهم الخاصة.

كان الهدف من الحفرة في الأساس أن تلقي قبيلتنا بموتاها، ولكن تناقصت أعدادنا بمرور الزمن، واليوم لم يعد هنالك منا سوى آبائنا وإخوتنا الذين يبلغ عددهم اثنان لكل منا.

يعيش آباؤنا وإخوتنا في الجنوب أبعد من كيوشو، في مكان عميق تمامًا تحت الأرض. إنهم يعيشون حياة هادئة خالية من التفاعل مع البشر. ترسل لنا والدة زوجتي رسائل بين الحين والآخر، ولكن كل ما تقوله فيها هو إننا يتوجب علينا الإسراع في مغادرة طوكيو والذهاب للانضمام إليهم حيث يعيشون، فهي تبدو قلقة من أن يرغب ابنها وابنتها في الانتقال إلى طوكيو أيضًا.

يمكنني دومًا معرفة أي البشر يرغبون بالمغادرة فورًا لأنهم يرفعون وجوههم لينظروا إليّ حين أربت على أكتافهم. للبشر جميعهم تلك النظرة الكئيبة على وجوههم، فهم يبقون أعينهم مثبتة على عينيّ، ساكنين تمامًا ويهمهمون بأشياء بصوت خفيض.

أربت على كل واحد منهم تربيتة ناعمة أخرى على الكتف مبتسمًا بدفء، ثم أعود إلى الغرفة الرئيسة، حيث زوجتي، وأتناول بضع شرائح مقرمشة من اللحم المقدد المقلي واللبن الرائب وطبقة من مربى الخوخ.

نحمل، زوجتي وأنا، بعد أن أنهي طعامي قدرًا كبيرًا من العصيدة التي أعدتها إلى الغرفة المجاورة لنقدمها للبشر. تغرف زوجتي العصيدة في الأطباق، وأطلب من البشر أن يصطفوا. طبعًا لا

يمكنك توقع الكثير من هؤلاء البشر، فهم يخرقون الصف قبل أن تدرك ذلك، أو إن وجدوا أن من الصعب عليهم الاصطفاف فإنهم يجذبون أطباق الآخرين، إنهم كذلك. كلما فعلوا شيئًا سيئًا كنت أطلب منهم التوقف، وإن لم يفعلوا أقوم بضربهم بمخالبي لإجبارهم على الإصغاء، هذه هي طريقتي في حفظ النظام.

حين تُأكل العصيدة كلها تغرق الغرفة في الصمت ثانية، وأبدأ بالاستعداد للذهاب إلى العمل. تلمع زوجتي حوض مغسلة المطبخ ثم تشغل آلة الغسيل التي تنوح أثناء دورانها، وتأتي لتراني وأنا أغادر، فأفتح الباب وأنطلق نحو الشارع. أتمهل في سيري نحو المحطة، وقد ارتديت معطفي الكشمير ووشاحي كما أنني أرتدي قفازات من الجلد، لأنني أصاب بالزكام بسرعة. يتعين علي تغيير القطارات مرتين في طريقي إلى العمل، ويستغرق هذا التغيير ساعة تقريبًا.

حين أصل إلى العمل أثقب بطاقة الحضور، وألقي نظرة —أثناء انتظاري لإحدى فتيات المكتب لتصنع الشاي- على الفاكسات المتروكة على مكتبي.

حين جئت للعمل في هذه الشركة أول مرة، رماني الناس أحيانًا بالحجارة أو قذفوني بالخضار المتعفنة وغيرها، لكن بمرور السنوات بدا كل من زملائي ورؤسائي متأقلمًا مع حضوري.

لا يبدو أن الشباب الذين انضموا إلى الشركة في السنوات الأخيرة يلاحظون كم أبدو مختلفًا، ولا أعتقد أنهم قرروا بوعي ألا يتساءلوا

حول وجودي، و لمَ لا يبدو شكلي كأشكالهم، لأنهم ببساطة لا يكترثون. يعلق الناس أحيانًا قائلين: "إنك مشعر جدًا أليس كذلك؟" لكن لم يعد هنالك من يحدق بي صراحة أو يضايقني للحصول على معلومات حول أصولي. قبل ما يقارب العقد من الزمن كان الناس يثرثرون كثيراً.

أجلس إلى حاسوبي حتى وقت الغداء، وأتعامل غالبًا مع الإحصاءات. تأتي أحيانًا امرأة شابة من العلاقات العامة وتسألني أن أكتب عنوانًا على مظروف بخط جميل باستخدام فرشاة، فأنا خطاط جيد. يقول الجميع إنني أكتب حروفًا بأناقة أكثر من أي أحد آخر في الشركة.

أجلس هناك بهدوء أؤدي مهامي المحددة حتى يحين الوقت لفتح صندوق الغداء الذي أعدته لي زوجتي. أصاب بالبرد رغم تدفئة المكتب، لذا أضع كمادات حرارية قابلة للطرح على بطني وأسفل ظهري. يوشك وقت الغداء على الانتهاء في الوقت الذي تبدأ فيه الكمادات بفقدان حرارتها.

دعني أخبرك عن فرصة الغداء.

حين أفرغ من تناول غدائي، ألف بحرص الصندوق الفارغ ثانية وأغسل يديّ جيدًا، وأغسل وجهي في الوقت نفسه. أتناول الطعام باستخدام العيدان، لكني أستخدم مخالبي وراحتي يديّ أيضًا، فتصبح يداي لزجتين من أثر الزيت، وتلتصق قطع صغيرة من الطعام على فراء خديّ وحول فمي.

لا أدري إن كان ذلك بسبب أن لا أحد يطيق رؤيتي أثناء تناولي الطعام، أو بسبب أن الناس لا يجدون سببًا في إمضاء فرصة الغداء في المكتب، لكن في الحالين نبقى أنا والمرأة الشابة التي ترد على الهواتف وحيدين في قسمنا. ليس هنالك صوت في المكتب بأكمله ويصبح الجو باردًا قليلًا.

أشعر بالبرد كثيرًا، فأخرج لأمضي ما تبقى من فرصة الغداء في المتنزه مقابل المحطة.

في المتنزه، هناك الكثير من البشر الذي يتوارون في أكواخ من الورق المقوى، وقد اعتدت قبول ضيافة من يبدو كوخه الأكثر دفئًا.

"هي، أنت لست بشريًا، أليس كذلك؟" يقول لي المتشرد الذي كان يتفحص يديّ ووجهي وقدميّ عند دخولي. إن هؤلاء المتشردين يبدون أقرب إليّ من الشباب في المكتب.

"بشر؟ لا بد أن أقول لا!"، قلت نافخًا صدري.

لا تكن مغرورًا! إنك مجرد حيوان"، ضحك المتشرد. "

"ماذا تعني بذلك؟ البشر حيوانات أيضًا، أليس كذلك؟"

"حسن، نعم. لقد أصبت في ذلك".

ينتهي حوارنا عادة عند ذلك، فهؤلاء المتشردون ليسوا ممن يتكلم كثيرًا، وكذلك البشر الذين ألتقطهم. لقد أصبح البشر كلهم بشكل عام في طوكيو قليلي الكلام مؤخرًا.

بينما أجلس هناك وظهري ملاصق لظهر المتشرد، أبدأ تدريجيًا بالشعور بالدفء. إن الالتصاق بظهر بشري أكثر دفئًا مما هو الأمر في المكتب، حتى إن كانت تمطر، بل وحتى إن كانت تثلج، ومع ذلك لا يبدو أن البشر يجتمعون معًا كثيرًا، فأتساءل أحيانًا لماذا ينأى البشر عن بعضهم بعضًا.

لا أختار متشردًا أبدًا، فالبشر الذين ألتقطهم أكثر منهم اضطرابًا.

أغادر كوخ المتشرد المصنوع من الورق المقوى، وأتجول لوهلة في الأزقة التي تقع خلف البنايات قرب المحطة. ليس هنالك أي بشري مضطرب، ليس في الأزقة، وهذا غريب، إذ يبدو أنهم يميلون إلى الظهور في فضاءات مفتوحة واكثر إشراقًا، قرب الأكشاك في المحطة مثلًا، أو في مقاهي ذات إضاءة جيدة وواجهات زجاجية عريضة، أو في متاجر التجزئة.

هنالك قطط في الأزقة كلما رأتني تصاب بالذعر وتبدأ المواء، إنها تقول: جيااا! يحب البشر القطط لذا فإنهم يتضايقون إن صاحت بهم جيا! أحاول تجنب القطط حينما أسير في الأزقة.

أحيانًا تكون هناك حفرة قرب نهاية زقاق ما، وحين أقفز وأدخلها أجد أن التربة هناك طرية وجميلة، فأحفر في التربة الطرية بمخالبي أعمق فأعمق. ينتابني الحماس أحيانًا وينتهي بي الأمر بحفر نفق إلى المنزل، فتفزع زوجتي حين ترى معطفي الكشمير الرائع ملوثًا بالتراب، فأقبّلها وأكمل طريقي عائدًا عبر النفق.

يعميني نور الشمس فوق الأرض، وحتى في الأيام الغائمة يستغرق الأمر وهلة حين أخرج من تحت الأرض لتعتاد عيناي الضوء، علي الانتظار قليلًا قبل أن أتمكن من فتحهما، فأقف هناك للحظة شاعرًا بالضياء عبر جفنيّ المغلقين بشدة. يشعرني النور بالبرد، رغم أن مصدره الشمس إلا أنه يشعرني بالبرد. تقول زوجتي إن هذا يعود لبعد الشمس عن الأرض. إنها أدفأ بكثير في الأسفل هناك تحت الأرض من سطحها، لأنك تكون هناك أقرب إلى الطبقات السفلى من الأرض حيث الصهارة البركانية. حتى البشر الذين ألتقطهم يبدون أكثر دفئًا وهم يفترشون الغرفة الثانية من منزلنا مما كانوا عليه على سطح الأرض.

تعتاد عيناي الضوء أخيرًا وأستطيع فتحهما ثانية. أنظف التراب عن معطفي وألف وشاحي المنفوش حول عنقي ثانية وأعود إلى المكتب. يمتلئ المكتب بالبشر حالما تقترب فرصة الغداء من الانقضاء، فأدير شاشة حاسوبي وأبدأ بنقل صفوف وصفوف من الأرقام من السواقة الصلبة. تعد لي امرأة شابة بعض الشاي الساخن، فأرشفه حاملًا الكوب بين مخالبي.

دعني أخبرك عن ما بعد الظهيرة.

يتدفق ضوء الشمس بعد الظهيرة داخل المكتب الذي يصبح أكثر دفئًا. هناك ثلاث من أشجار المطاط موضوعة في أصص على طاولة الاستقبال، فأنفخ أحيانًا – في طريقي إلى دورة

المياه- الغبار المتراكم على أوراقها. يتراكم الغبار سريعًا على أوراق شجر المطاط، فعند انتصاف النهار، تكون مغطاة بطبقة رقيقة من الغبار الذي يثيره مرور البشر.

في دورة المياه أدخل مقصورة، أنا أصغر حجمًا من البشر لذا لا يمكنني الوصول تمامًا إلى المبولة، إذ يبلغ طولي ثلثي طول رجل بالغ. ذهبت ذات مرة وحاولت التبول في المبولة مهما كلف الأمر، ولأني توقعت النتائج لم تكن آمالي عالية؛ فقد أحدثت فوضى.

في طريقي إلى دورة المياه دائمًا ما أتحدث قليلًا مع البشر الذين يقومون بتنظيف مبنانا. يمكنك أن تجدهم بعد الظهيرة على سلالم الطوارئ بين الطابقين الثاني والثالث، مستندين إلى الجدار صامتين.

يتوق عمال التنظيف من أجل الحصول على إكرامية أحيانًا.

"كان هنالك واحد منهم اليوم". ويقصدون بـ"هم" البشر الذين ألتقطهم.

"بدا هذا الرجل خطيرًا اليوم نوعًا ما؟"

"أوه؟ كيف يبدو؟"

"كما لو أنه قد يقفز من فوق سطح أو ما شابه."

كم هو مزعج ما يقوله عاملو التنظيف لبعضهم بعضًا، أعني

حدث ذات مرة أن قفز ذلك الرجل، كما تعرف، وقد رأيته. يقول البشر أمورًا مماثلة، ثم يضحكون آهاها. ولا أفهم لماذا يضحكون في لحظات كهذه، فأنا لا أفعل، أنا أضحك فقط في الأوقات السعيدة. لا يبدو أن البشر يضحكون لأنهم سعداء، أنا لا أستطيع فهم البشر.

آخذ دفتر ملاحظاتي وأدون أين رأوا "واحدًا منهم".

حين أعود إلى المكتب وأجلس إلى حاسوبي، تجلب لي امرأة شابة بعض الشاي. الشاي الذي تعده المرأة بعد الظهيرة فاترٌ دومًا، ربما يشعر البشر بالتعب بعد الظهيرة. إن كانوا كذلك فعليهم الذهاب إلى النوم، لكن بدلًا من ذلك يظلون محافظين على ثيابهم جميلة وأنيقة، ويجلسون على كراسيهم وينهضون ويتجولون بين الحين والآخر، متعبين طوال الوقت.

حين أشعر بالتعب أستلقي فورًا في المكتب أو في الردهة أو حيثما أكون. أمد معطفي الكشمير على جسدي مثل بطانية وأغوص في نوم عميق لبعض الوقت. يلفت البشر الكثير من الانتباه إلي حين يمرون بقربي حريصين على ألا يطؤوني. أحاول دومًا الاستلقاء قرب الجدار بحيث يتعين عليهم السير باستقامة دون قلق، لكنهم يقومون بكثير من الانعطافات، وتقرع كعوب الأحذية على الأرض بطريقة نشطة على وجه الخصوص دون الاقتراب من جسدي المضطجع.

يكون جسدي باردًا بأكمله عندما أستيقظ، فقد كنت أستلقي على الأرض مباشرة لذا فإن الأمر طبيعي. أقفز فأسبب طنينًا آنيًا للبشر، ليس هنالك طنين فعليًا بل مجرد ارتعاشة من الطاقة ترتجف في الهواء. يمكنني الإحساس بها.

لا يحبني البشر، لقد كان الأمر كذلك لعصور. لم يكن لأحد أن يتخيل منذ عصور أسلافي أنه سيأتي اليوم الذي سأعيش فيه حياتي هكذا بين البشر. في الماضي اعتاد البشر كراهية قبيلتنا، وإذا وقعت أعينهم على أحد ما ذات يوم فإنهم يطلقون عليه النار أو يلكزونه برفش أو ينثرون السم في أنحاء المكان. يا إلهي، كان ذلك فظيعًا.

نادرًا ما يحاول أحد مهاجمتي الآن. يبدو أن البشر لم يعودوا متأكدين حيال ما يحبون وما يكرهون، يحملون بالكراهية تجاهي في عمق كيانهم، ومع ذلك يسمحون لي بالبقاء في الشركة كما لو أن كل شيء على ما يرام. إنهم يقولون لأنفسهم إنهم يسمحون لي بالبقاء لأنهم يحتاجون إليّ، لكن معظم البشر ليس بهم حاجة إليّ مطلقًا. لا بد من قول الحقيقة، بالنسبة للأغلبية العظمى من البشر، نحن الذين نقطن في أعماق الأرض لا نفعل شيئًا سوى الأذى.

أمشي ببطءٍ عبر موجات الانتباه الباردة عائدًا إلى حاسوبي، وأنتظر الشاي الفاتر الذي ستحضره المرأة الشابة. أتفقد بريدي

الإلكتروني وأجد عددًا من الرسائل من البشر يخبرونني أنهم صادفوا "واحدًا منهم" في مكان كذا وكذا، فأدون كل الأماكن التي عثر فيها على "واحد منهم" في دفتر ملاحظاتي، وحين أنتهي أمسح كل الرسائل.

يتزايد عدد الرسائل يومًا إثر آخر. وما زالت الأصوات المكتومة للبشر الذين حدث أنهم سمعوا أحدًا ما في مكان ما يتحدث عني تواصل اندفاعها باتجاهي، متنامية مثل الجذور الرقيقة لشجرة تشق طريقها في صخر جلمود.

أشرب شايي الفاتر ومن ثم ألقي بالكوب على الأرض. أرمي كوبي على الأرض هكذا متعمدًا بين الحين و الآخر. تشتعل أجسادهم بالكراهية لكنهم لا يظهرونها مرسلين موجات عميقة سوداء في الهواء في كل اتجاه، ويبدأ البشر بكنس حطام كوبي.

أحدق بالأرقام على شاشة حاسوبي وأتصرف كما لو أن شيئًا لم يحدث. يتدفق الضوء الأحمر الباهت للشمس الغاربة عبر زجاج النافذة العريضة للمكتب. لقد تمدد الغروب حتى ملأ السماء، الغروب الجامح الذي يحتل سماء طوكيو بأكملها.

أبدأ بتدوين النظام الذي سأتبعه في جمعهم في دفتري.

لمَ لا أخبرك عن أمسياتي؟

أنحني دومًا عندما أغادر العمل. تختفي جدران مبنى المكتب في وهج الشفق الداكن الذي يجعل الأشياء تبدو سائلة ويصعب

تحديد حوافها، وتبدو النوافذ المضاءة مثل قطع مربعة من الورق الأبيض تطفو في الهواء. البشر، في طريقهم للخروج من المكتب، يبقون على مسافاتهم عني حين أقف هناك منحنيًا، ولا يلتفت البشر للوراء أبدًا للنظر إلى المبنى بعد مغادرتهم، حتى إن كان سيموتون ليلًا ومن ثم لن يتمكنوا من العودة اليوم التالي، يندفع البشر خارجًا للعودة إلى المنزل فقط.

حين أشعر أنني انحنيت بما يكفي أبدأ السير باتجاه ناحية المدينة التي تتركز فيها كل الحركة.

الليل يافع. وما تزال العتمة التي تملأ الشوارع خفيفة، فأدخل حانة وأطلب جعة برميل. يظهر الشاب الذي يأتي لأخذ طلبي رفة من الدهشة للشعر الذي يملأ جسدي، لكنه يأخذ الطلب دون أن يغير تعبيره. لا يستغرق وقتًا طويلًا في إحضار الوجبة الخفيفة التي تتماشى مع المشروب أيضًا، فيضع طبقًا مملوءًا بشرائح من الفجل الأبيض المجفف.

يبدو الشاب مندهشًا لوهلة في بادئ الأمر، ثم يعتاد هيئتي بسرعة ويأتي سريعًا بالأطباق التي طلبتها واحدًا بعد الآخر. مرقة بتوفو مقلي وقوانص مشوية مملحة وحساء سمكة الذيل الأصفر والفجل الأبيض غيرها.

"أخبرني، هل رأيت أحدًا منهم في الجوار؟" أسأل أحيانًا بعد الزجاجة الثانية من الساكي الدافئ.

"أوه لا، فهم لا يأتون إلى مكان كهذا!" يجيب الشاب.

أرى بالنظر في أرجاء الحانة اثنين أو حتى ثلاثة منهم، يبدو أحدهم مرهقًا جدًا وبياض عينيه غائم، وآخر يبدو متدليًا وعيناه زرقاوان على الأغلب. يبدو أن الشاب بالكاد ينتبه إليهما حين يطلبان شيئًا، إذ يظل يسرع بنشاط في أرجاء المكان.

ينزلقان من مقاعدهما ويترنحان على الجدران، فأبرز مخلبًا وأتشبث بمرح بواحد منهم، معلقًا إياه من ظهره، فيتدلى هناك عند طرف مخلبي ثم يأخذ بالتقلص تدريجيًا، ولا يمضي وقت طويل حتى يصبح في نصف حجمي ويصبح أخيرًا صغيرًا جدًا أتمكن من حمله على راحة يدي.

أضعه- قابضًا عليه بحذر بين مخلبيّ- في جيب معطفي الكشمير، ولا يصرخ أو يحاول المقاومة، بل ينزلق فقط إلى جيبي، كما لو أنه كان يرغب بذلك دومًا.

"حسابك ثلاثة آلاف وخمسمئة ين يا سيدي" يقول الشاب الذي يعمل في الحانة وهو يحمل الفاتورة.

"كان هناك عدد منهم هنا، كما تعلم"، أخبره مبرزًا أحدهم من جيبي حاملًا إياه بحذر بين إصبعين.

تتسع عينا الشاب حين يحدق بذلك الشيء المنكمش.

"غير معقول! إذن كان لدينا منهم هنا أيضًا، ها؟"، يقول

مبتسمًا، ويسترق النظر بصعوبة إلى الشيء الذي يتخبط بعينين مغلقتين ويسألني: "ما ذا يكونون بحق الجحيم؟"

"سؤال جيد. سأقول.... أنا نفسي لست متأكدًا."

"لكن إن كنت ستقول أكثر من ذلك..." يقول الشاب حاثًا إياي على القول. أعيد الشيء إلى جيبي وأفكر لدقائق قليلة. خلال العقد الأخير بدأت هذه الأشياء فجأة بالتزايد. حين بدأ والداي يشعران باليأس حول الأمور كانا يقولان دومًا "لم تعد هنالك روح للحياة"، وأدركت أنه ربما هذا هو ما هم عليه: البشر الذين لم يعد لديهم ما يدعوه والداي "روح الحياة".

إذا تركت هذه الأشياء تفعل ما تشاء فإنها ستصبح فارغة. يصبح البشر أنفسهم فارغين، ثم أماكن وجودهم ومن ثم حتى المناطق المحيطة بأماكنهم، سيجعلونها كلها زائفة.

ربما تتوقع موتهم حالما يصبحون فارغين لكنهم لا يفعلون.

من الواضح أن الأمر يتطلب قوة حقيقية حتى للموت.

الأشخاص الذين لا يموتون لكنهم لا يعيشون أيضًا، الذين حيثما يكونوا يصبْهم الحزن لمكانهم ويصبهم الحزن على أنفسهم أيضًا. عندما تنظر إلى ذلك عن قرب فإنك تدرك حقيقتهم.

كنت أتساءل متى كانت المرة الأولى التي وقع فيها أحدهم تحت الأرض، في الأسفل حيث أعيش. كنت قد سمعت طرقة عالية،

وعندما ذهبت للغرفة المجاورة لاستطلاع الأمر وجدت بشريًا، بشريًا لم أره من قبل. طبعًا، في تلك الأيام زوجتي وأنا كنا ما نزال نعيش بهدوء في عالمنا تحت الأرض، نحن الاثنان فقط، لذا لم يكن لدينا أي تفاعل مع البشر.

"أنا خائف" قال البشري.

"مم تخاف؟"، سألته أنا وزوجتي على الفور.

"خائف من كل شيء"، أجاب البشري وهو ما يزال يحدق في الفراغ.

بعد ذلك صرنا نستقبل شخصًا كل أسبوع، ثم واحدًا كل خمسة أيام، ثم واحدًا كل ثلاثة أيام. يومًا بعد يوم أخذ تواتر سقوط البشر يزداد، وأخذ يسقط واحد كل يوم دون تردد.

كنا في بادئ الأمر ننتظر سقوط البشر، وكانوا يظلون هناك في الغرفة المجاورة لبرهة ثم يعودون إلى سطح الأرض.

"هل أنت عائد إلى الأعلى؟"، كنت أسأل.

وكان الجواب في معظم الحالات: "إنني راحل".

يبدو أن البشر عليهم البقاء تحت الأرض لوهلة فقط، و حالما يفعلون ذلك يكونون قادرين على العودة إلى سطح الأرض. كانت كل أصناف البشر تسقط في منزلنا، فكنا نرى أطفالًا بأذرع طويلة وسيقان هزيلة، كنا نرى شيوخًا مضطربين وبالغين

حسني البنية. يتحاشى البشر كلهم الاحتكاك بالآخرين وقد منحت أجسادهم الفضاء من حولهم هيئة جامحة.

سابقًا كنا، زوجتي وأنا، نحفر حفرة كلما مات واحد من البشر الذين سقطوا في منزلنا، وكنا ندفن كل جثة بعناية. وبعد فترة تذكرنا الحفرة التي حفرها أسلافنا وقررنا أن نلقي الجثث فيها، يصبح البشر باردين ومتخشبين عندما يموتون، ونحن، معشر المناجذ، نصبح باردين ومتخشبين أيضًا حين نموت. يبكي البشر عندما يموت أحد منهم، لكننا لا نفعل. نحن نبكي عندما نشعر بالحزن أو نشعر بالألم أو الغضب، فالموت هو ببساطة أحد حقائق الحياة، لذا فإنه لا يشعرنا بالحزن، ولا يشعرنا بالألم والغضب. لكن حين يموت بشري، ينوح الآخرون وينشجون حتى لو كان الآخر تافهًا جدًا و متكتمًا ولا مباليًا، فتردد الغرفة الأخرى صدى بكائهم. إنهم يبكون كما لو كانوا مستمتعين، أنا لا أفهم البشر حقًا.

لقد بدأت بجمع البشر قبل بضع سنوات فقط، ومنذ أن بدأت بالتجول لوضع البشر في جيوبي —أولئك البشر الذين لم يعد لديهم القوة للنزول تحت الأرض– أصبحت لياليّ مشغولة. إذ أنشط بعزم لجمع البشر متبعًا التسلسل المكتوب في دفتري. إنهم يجلسون هناك. بسكون تام، لذا فإنه من السهل التقاطهم بمخالبي.

أتجول دون راحة طوال الليل ملتقطًا البشر وجامعًا إياهم أكثر فأكثر في جيوب معطفي الكشمير.

سأخبرك عن الساعات المبكرة من الليل.

حين أفرغ من جمع البشر أشعر بالإنهاك.

أسير بلا صوت على طول شريط الإسفلت الأسود الطويل، وجيوبي ممتلئة بالبشر وزوجتي تنتظرني، لقد أخبرتها أنها ليست مضطرة لذلك، لكنها تقول إنه سيصعب عليها أن تحظى بنوم طيب إن استيقظت بعد أن تخلد للنوم، لذا فإنها تنتظرني مرتدية سترة سميكة جميلة فوق منامتها وهي ترتشف كوبًا من الشوكولاته الساخنة أو الحليب الدافئ.

"مرحبًا بعودتك!" تقول زوجتي بصوتها الناعم، إنها (خلدة) ذات صوت ناعم. كل أقارب زوجتي هكذا، فوالدها ووالدتها لهما صوتان ناعمان، ويبدو صوت والدتها وأختها كصوتها تمامًا، رغم أن ملامحهن لا تتشابه فعلًا.

تسألني زوجتي وهي تساعدني في خلع معطفي الكشمير إن كنت أريد قليلًا من الأرز في الشاي أو أي شيء من هذا القبيل، ثم بلفتة سريعة وحيدة تعلق معطفي على المشجب. جيوبه منتفخة، فتدخل زوجتي مخلبها في واحد من الجيوب وتلتقط بشريًا بحذر. واحد، اثنان، ثلاثة... تبدأ بعدهم بصوت عالٍ وهي تصفهم على الطاولة.

يبقى البشر في البداية ساكنين تمامًا، وبعد وهلة يأخذون بالخربشة على الطاولة مبتدئين بالأكثر نشاطًا نسبيًا. وحين تصبح حركاتهم أكثر حيوية يعودون تدريجيًا إلى حجمهم الأصلي، فنصحبهم زوجتي وأنا إلى الغرفة المجاورة قبل أن يصبح حجمهم كبيرًا جدًا ونتركهم يتمددون إلى حجمهم الكامل هناك.

يحدق البشر الموجودون في الغرفة مسبقًا دون اهتمام حين يعود البشر الصغار إلى حجمهم. إن البشر الذين جمعتهم بليدون كليًا، ومهما كان أمر ما غريبًا وغير طبيعي فإن هيئتهم البليدة لا تتغير، ويكون الوقت الوحيد الذي يبكون فيه أو يمخطون أو غير ذلك من تعابير عاطفية حين يموت واحد منهم.

حالما نرى زوجتي وأنا أن كل البشر قد عادوا إلى الحجم العادي نجلس إلى الطاولة ونشرب كوبًا ساخنًا من الشاي المعطر بأوراقه المحمصة، وقد نتناول أحيانًا بضع بسكويتات من الأرز أيضًا. نادرًا ما نتحدث عن البشر، ولا نتحدث عن عملي أيضًا، بل عن أمور أخرى، ما الذي كان معروضًا في قسم التخفيضات في المتجر، أو أنّ شيرو، قد أنجبت جراء قرب الصيدلية، وأنها تنبح على زوجتي منذ ولادتها للجراء. ندردش زوجتي وأنا عن هذا الأمر أو ذاك ونحن نحتسي الشاي المعطر.

في الغرفة المجاورة، يدخل البشر إلى فرشهم تحت البطانيات، من النادر أن يتحدث البشر إلى بعضهم بعضًا، نضع زوجتي

وأنا آذاننا على الجدار الذي يفصلنا عن الغرفة المجاورة ونصغي لأصواتهم. أصوات البشر ناعمة، انا أتحدث عن أصوات البشر الذي سقطوا إلى منزلنا وأصوات الذين أجمعهم، فأصوت البشر في العمل ليست ناعمة على الإطلاق.

"مخيف، أليس كذلك؟"

"نعم، مخيف حقًا... عشب الذكريات على الإفريز العتيق."

ليست لدينا فكرة عما يعني ذلك، كل ما يقوله البشر يبدو مثل آلة معطلة، إنهم يواصلون تكرار مخيف مخيف أو يجأرون أوووو أوووو.

"مخيف" هي الكلمة التي يقولها البشر كثيرًا، ولا يمكنني تصور ما الذي يخيفهم إلى هذا الحد، فوجوههم بيضاء وأصواتهم ناعمة، ويواصلون قول "مخيف مخيف مخيف" لبعضهم بعضًا بين الحين والآخر، مكررين ذلك في حلقة لا نهائية. ما الذي يجدونه مخيفًا إلى هذا الحد بحق السماء؟ وإن كانوا خائفين إلى هذا الحد فلِمَ لا يظهرون ذلك؟ أنا لا أفهم البشر حقًا.

قبل أن نأوي إلى الفراش بوقت قصير نذهب، زوجتي وأنا، إلى الغرفة المجاورة حيث يوجد البشر. نتجول ونقول لهم بعض الأمور. "هي، هذه القبعة تبدو رائعة عليك!"، "ما هو طعامك المفضل؟"، "يبدو هذا الفراش لطيفًا ودافئًا حتمًا!". أمور صغيرة كهذه. يجيب البشر أسئلتنا بابتهاج مفاجئ، رغم أنهم بين

بعضهم نادرًا ما يتحاورون بشيء يستحق الذكر. "أنا أحب السمك كثيرًا، بل أنا مغرم بالسمك الصخري تحديدًا، وقد كنت أجلس على الشاطئ محاولًا صيد واحدة منها عندما جاءت إلي هذه القطة، كانت قطة مرقطة بالأبيض والأسود وبخطوط بلون الشاي، وقد قتلت قطة ذات مرة وأكلتها لكن طعمها لم يكن شهيًا". إنهم يقولون أشياء كهذه متحدثين باسترسال دون لحظة صمت.

نذهب زوجتي وأنا إلى الفراش ونغط في نوم عميق. نسمع تنهيدات وبكاء من الغرفة المجاورة، حيث يوجد البشر، طوال الليل. لم نكن زوجتي وأنا معتادين تلك الأصوات في بادئ الأمر، لذا كنا نواجه صعوبة في النوم، لكننا الآن نستغرق في النوم مباشرة.

تشخر زوجتي قليلًا، ومن الواضح أنني أشخر كثيرًا أثناء نومي.

سأخبرك عن الفجر.

الفجر هو الوقت الذي نحمل فيه، معشر المناجذ، أطفالنا.

وضعت زوجتي خمسة عشر طفلًا حتى الآن. لقد كانوا أطفالًا صغارًا ونشيطين يغطي كامل أجسادهم شعر ناعم، لكنهم ماتوا جميعًا بعد ولادتهم، لم يبق واحد من أطفالنا على قيد الحياة، فحفرنا حفرة منفصلة لكل واحد منهم ودفنا كل واحد منهم بعناية.

ذرف البشر الدموع عندما علموا بموت أطفالنا، بل بكى بعضهم بحرقة أكثر مما لو مات أحدهم، لم نبك أنا وزوجتي، حتى لموت الأطفال حديثي الولادة لأن الموت من حقائق الحياة. هنالك أشخاص من البشر الذين جمعتهم قد خنقوا أولادهم ومع ذلك ينتحبون ويتلوون حين يبكون أكثر من أي أحد آخر. أنا لا أفهم البشر حقًا.

إنه ليس أمرًا متعلقًا بنا، نحن المناجذ، فحسب، فالبشر أيضًا يحملون أولادهم فجرًا. في العقد الماضي تقريبًا، أنجبت اثنتان من البشر أطفالًا، إحداهما أنجبت ولدًا والأخرى بنتًا، لقد كانا طفلين صغيرين مفعمين بالحيوية يغطيهما بالكامل شعر ناعم، لقد كانا طفلين بشريين طبعًا، لكنهما كانا يشبهان صغار الخلد تمامًا. لم يبدِ أحد من البشر أدنى اهتمام عند ولادتهما. يبكي البشر يثورون على نحو هائل عندما يموت أحدهم، لكن يبدو أنهم لا يكترثون البتة بولادة الأطفال.

في اللحظة التي ألقت بهما الأمان نظرة على ولديهما طرحتاهما جانبًا وزحفتا نحو الفراش وغطتا في النوم، وقد عادت كلتاهما إلى سطح الأرض بعد يومين تقريبًا من الولادة، وتُرك الأطفال وحدهما هنا تحت الأرض، ولم يبدِ البشر اهتمامًا عندما رأوهما مشعرين كما كانا.

ربينا زوجتي وأنا الطفلين اللذين جلبهما البشر إلى العالم. لقد

نمت لهما مخالب وكبرا بسرعة كبيرة بحيث كانا يبدوان كالبشر تمامًا، وبعد ثلاث سنوات كانا قد أتما نموهما، فأطلقناهما على سطح الأرض وهرب كل منهما في اتجاه ما، ولم نسمع عنهما خبرًا منذ ذلك الوقت.

عندما تشرق الشمس، تتسلل أشعة رفيعة من الضوء من خلال الصدوع في السقف. وأكتفي بالاستلقاء هناك لوهلة محدقًا بكل أشعة الضوء تلك التي تتسرب إلى الداخل.

لا يلوح الضوء في الأيام الغائمة أو الماطرة، حتى لو انتظرته. في المرات النادرة التي تثلج فيها تبدو الغرفة مضيئة قليلًا قبل طلوع الفجر.

فراشي دافئ لكن قمة أنفي باردة، أحتاج الذهاب إلى الحمام فورًا لكن يصعب علي مغادرة فراشي.

تستيقظ زوجتي بعد مدة وتدخل الحمام قبل أن أتمكن من النهوض. زوجتي كائنة نشيطة، فحالما تستيقظ تبدأ بتنظيف المنزل ووضع القدر على النار وهي تهمهم طوال اليوم

أجهز نفسي أخيرًا، وفي الوقت الذي أبدأ فيه جولاتي لتفقد البشر الذين التقطتهم يوم أمس أو أمس الأول أو حتى قبل ذلك، تضطرم نار حمراء ساطعة في الموقد ويغلي الماء بعيدًا في غلاية صافرة، ويعبق المنزل بأكمله برائحة الخبز الرائعة، زوجتي تعمل بسرعة.

تزدحم الغرفة المجاورة بالبشر، نلقي زوجتي وأنا الموتى منهم في الحفرة ونعزل أولئك الذين يرغبون بالعودة إلى سطح الأرض من أولئك الذين لا يفعلون ونوزع العصيدة.

يبدو كل البشر فاتري الهمة كما لو كانوا موتى، لكنهم ليسوا كذلك. يغرق البشر بالحزن على محيطهم وعلى أنفسهم، ويظلون في أماكنهم بسكون تام لكنهم لا يموتون. هنا في حفرتنا، عاجزين أن يصبحوا مناجذ بأنفسهم، بشرًا كما كانوا دائمًا، ينتظرون اللحظة التي سيستطيعون فيها العودة إلى سطح الأرض.

يموت بعض البشر قبل أن يتمكنوا من العودة، فيذرف الآخرون الدموع ويتلوون بهياج على الأرض، ولوهلة فقط تبدو وجوههم – رغم موتهم– مشرقة.

ليليانا هيكر (1943)

كاتبة أرجنتينية. بدأت مسيرة الكتابة في السابعة عشرة من عمرها حين التقت بالكاتب أبيلاردو كاستيللو فعملت معه في مجلة "El Grillo de Papel ". نشرت أولى مجموعاتها القصصية عام 1966 التي حصلت على جائزة منظمة"Casa de la Americas" الثقافية الكوبية. ترجم ألبرتو مانغويل مجموعتها "الحفلة المسروقة" من الإسبانية إلى الإنجليزية.

واصلت عملها أثناء الاضطراب السياسي في الأرجنتين في السنوات ما بين 1976 حتى 1983 في مجلة أدبية يسارية، كما أنها ساعدت في إيصال أصوات الكتاب الذين أخرسهم النظام.

قال عنها الكاتب الأرجنتيني الشهير خوليو كورتاثر: "ليليانا ساحرة، فهي تحوّل التفاصيل الصغيرة والأحداث التافهة إلى قطع من الذهب. إنها ذكية، إنها مرعبة، يجب أن تقرأ لها، يجب أن تقرأ لها".

كنز صغير

فتح الباب الداخلي قليلًا. لاح من فرجته وجه امرأة ذات شعر رمادي. تذكرت آنا فجأة رسمة من كتاب، هل كان ذلك "أليس في بلاد العجائب"؟ القط الباسم الذي يختفي، ولا يفعل ذلك دفعة واحدة: بل يمحو نفسه شيئًا فشيئًا، فيبدأ بالذيل ثم الجسد وأخيرًا الرأس، حتى لا يبقى سوى شق شفة ضخم يتأرجح في الهواء. كان هذا أمرًا مشابهًا، لكن بطريقة عكسية، كما لو أن الابتسامة كانت هناك قبل أن يُفتح الباب، بانتظارها.

"كيف أستطيع مساعدتك، سيدتي؟"

لم يظهر سؤال المرأة، على أية حال، أنها كانت تتوقع زائرتها. أمر غريب بالنظر إلى كل الإعلانات، لكن لا بأس. اصطنعت آنا ما ظنته صوت موظف حكومي.

"الأمر يتعلق بالتعداد الوطني يا سيدتي، أنا موظفة الإحصاء."

"أوه، موظفة الإحصاء!" كان تعجب المرأة مفاجئًا، فقد كان حماسيًا وترحيبيًا في جزء منه وامتعاضًا في آخر. "لقد أخبرت ابنتي أنكم قادمون منتصف النهار، لكنها..."

تأرجحت جملتها بينهما دون أن تكتمل. اتضح لآنا أنها امرأة تترك الأمور معلقة غالبًا.

"أنا آسفة" قالت "نحن نأتي حينما نستطيع."

"بالطبع تفعلون يا عزيزتي"، فتحت المرأة الباب. "ادخلي من فضلك وإلا حملتك الرياح، أنت نحيلة جدًا".

تذكرت آنا عند الإشارة إلى حجمها أنها جائعة، أو هل كان ذلك بسبب الرائحة؟ فقد أغرتها، حالما تجاوزت الباب، رائحة طهو حميم. كانت الردهة الأمامية رائعة، بأرضية من الفسيفساء المصقول والقليل من الأغطية المحبوكة والأثاث اللامع، بدا ذلك المصور الملقى على الأرض مفتوحًا خارج المكان. هزت المرأة رأسها عندما رأته "هؤلاء الأطفال"، قالت لائمة بلطف وهي تنحني لالتقاطه. استنشقت آنا رائحة الطهو التي أصبحت أقوى كثيرًا.

"أعرف أنه ليس وقتًا ملائمًا"، قالت، "لكن الأمر سيستغرق بضع دقائق فقط".

"مطلقًا يا عزيزتي، ابقي طوال ما بعد الظهيرة إن أحببت! أعتذر أنني لم أعرفك بنفسي: أنا السيدة دي فيراري، لكن الجميع ينادونني أميليا فقط".

"وأنا آنا، سأجلس هنا ولنبدأ".

"لن أسمع شيئًا مما تقولين، تعالي معي إلى غرفة الطعام، ستشعرين بالراحة أكثر هناك"، وفتحت بابًا يقود إلى الفناء. "إن ما يقلقني هو خروج ابنتي وقد أخبرني زوجي هذا الصباح فقط أنه لن يعود من أجل الغداء، ذلك البغيض"، وابتسمت بحنان. "يا له من

رجل مسكين، لم يكن علي حقًا أن أدعوه بغيضًا في حين أنه يعمل في يوم عطلته ليحرز تقدمًا في عمله".

"في الحقيقة لا داعي لحضور زوجك من أجل هذا."

رفعت المرأة يدها إلى فمها بخجل.

"أعرف أنك ستسخرين مني، وأقول ذلك لأن لدي ثلاث بنات لذا فإنني أعرف كيف تفكر الشابات في هذا العمر هذه الأيام، من هنا لو سمحت، لكنني لا أستطيع منع نفسي، أنا قديمة الطراز. اعتدت اعتبار زوجي شخصًا يضطلع بمسؤولية المنزل، وقد عودني ذلك، كما أظن، فهو يكبرني بخمسة عشر عامًا. حين تزوجنا كنت أبدو كابنته وهكذا فأنت ترين أنني سأكون دومًا ابنته، احذري!".

أتى ذلك التحذير في الوقت المناسب، وإلا كان على آنا أن تدوس على لوح التزلج الملقى في الممر.

"أوه يا لهؤلاء الأطفال"، اشتكت المرأة ثانية كما فعلت حين كانت في الردهة. "اجلسي هنا، حبيبتي، وارتاحي"، كان الكرسي الذي أشارت إليه قرب طاولة مغطاة بمفرش عليه الكثير من الأكواب وبقايا الفطور. "في الحقيقة إنه طفل العائلة، أنت تعرفين، الولد الوحيد، قزمي الأشقر الصغير" لم تستطع كبت ضحكتها. "نحن ندلله كثيرًا، بقدر ما يمكنك أن تتخيلي".

نعم، يمكن لآنا أن تتخيل، ما لا يمكنها تصوره — من ناحية أخرى- كان سبب إصرار المرأة على إدخالها إلى غرفة الطعام في حين أن الطاولة كانت مغطاة بالفتات وليس هنالك مكان تضع فيه أوراقها. بدا أن المرأة لاحظت ذلك لأنها جلبت صينية إلى الطاولة وأخذت ترفع الأشياء.

"ماذا ستقولين عني" قالت. راقبت آنا بلا اهتمام المرأة وهي تلتقط شريحة خبز بالمربى نصف مأكولة. "المشكلة أنه، في عائلة كبيرة كهذه.."

بدأت آنا تملأ العناوين محاولة ألا تلقي بالًا. أليس هناك شيء من الشره لدى أولئك الزوجات اللاتي يتباهين بأزواجهن وأولادهن كما لو كانوا قطعًا فنية بسيطة؟ حين فرغت من الكتابة، تابعت نشاط المرأة لبضع ثوانٍ.

"لا تكترثي لأمر الطاولة من فضلك، هلا جلست قليلًا بحيث نتمكن من إنهاء هذا؟ إنها بضعة أسئلة فقط."

"سأكون معك في دقيقة". كانت المرأة الآن تلم مفرش الطاولة محاولة ألا تسقط أيًا من الفتات. "أكره رؤية كل شيء في فوضى، صدقيني، في الواقع لم ينهض الأطفال من النوم حتى الثانية عشرة باعتبار اليوم يوم عطلة، وبعدها طبعًا انطلقوا نحو الخارج. سآخذ هذا إلى المطبخ فقط ثم سأكون معك تمامًا".

"سيدتي رجاء ما يزال هناك الكثير من المنازل التي يتعين عليّ

زيارتها ولم أتناول طعام الغداء بعد، هل يمكننا أن نجلس و.."

"أوه يا عزيزتي، يا لي من وحش! ها أنت تتضورين جوعًا وأنا لم أقدم لك لقمة تتناولينها. اسمعي ما سأقول لك، ما داموا قد خرجوا جميعًا وتركوني مع الغداء، تعالي إلى المطبخ – تعالي- يمكنك طرح أسئلتك وأنا سأقدم لك الغداء. ستسدين لي معروفًا حقًا فأنا لم أعتد تناول الطعام وحدي".

"الحقيقة أنني هنا في مهمة محددة"، قالت أنا وقد شعرت بالغباء على نحو غامض.

"هيا، لا يمكنك خداعي، فأنا كبيرة بما يكفي لأكون أمك! تعالي معي إلى المطبخ، تبدين جائعة. يحب زوجي والأطفال تناول الطعام في المطبخ".

أ لم تكن منذ دقائق مضت تصلي ليقدم أحدهم لها شيئًا تأكله حتى إن كانت قطعة بسكويت بائسة؟ استنشقت رائحة الطعام بنهم ونهضت.

سارت المرأة باتجاه باب لا بد أنه يؤدي إلى غرفة أخرى وفتحته، ثم صفقته كما لو أنها رأت شيئًا يسوؤها.

"يا إلهي الرحيم، كنت أوشك أن أجعلك تمرين عبر غرف النوم"، قالت، "نسيت أنني لم أرتب الأسرّة اليوم. تعالي من هنا"، وخرجت من باب يؤدي إلى الفناء.

هزت آنا كتفيها ولحقت بها، فما الذي كان مهمًا في نهاية اليوم. كان يمكن سماع الصراخ البعيد لامرأة وولد على الطرف الآخر من الجدار الفاصل، خطر لها أنهم الجيران الملاصقون. هذا المنزل مثالي.

"إنهما يصرخان ببعضهما بعضًا طوال اليوم، وهذا مرهق"، اشتكت المرأة، ونظرت بلمحة خاطفة إلى آنا ورققت نبرة صوتها. "حسن، إنهم أطفال كأطفالي، أليس كذلك؟ يرى المرء القذى دومًا في عيون الآخرين. على أية حال ها هو المطبخ، تفضلي."

كان هناك قِدر كبير على الموقد يتصاعد منه البخار. رفعت المرأة الغطاء وقلبت المحتوى بملعقة خشبية، فعبقت رائحة ذكية في أرجاء المطبخ.

"تعالي ألقي نظرة على هذا وقولي إنك لن تتركيني عالقة هنا مع كل هذا الطعام، هناك ما يكفي لإطعام كتيبة!"، ضحكت بحميمية، "أعد دومًا طعامًا كثيرًا، ماذا يمكنني أن أقول، أعني يثبت هذا الكم أن هنالك ضيفًا آخر لإطعامه".

خطر لآنا أنها أم مثالية نوعًا ما. جلست وأعدت النماذج بينما أخذت المرأة تعد طاولة لشخصين وتغرف الطعام في طبق يشبه وعاء الحساء، وجلبته أخيرًا إلى الطاولة وجلست.

"هاتي أسئلتك يا عزيزتي، ثم يمكننا تناول الطعام بسلام."

جلست وبدأت تسكب الطعام في الأطباق، والتقطت آنا قلمها.

"كم عدد الأشخاص الذين يعيشون في المنزل؟"، سألت رغم أن السؤال بلا داعٍ.

"نحن فقط"، قالت المرأة بزهو واضح. "أنا آسفة، أنت ترغبين بمعرفة من نحن وما إلى ذلك، هنالك زوجي وبناتي الثلاث والولد، الولد الصغير". صمتت للحظة "هل أخبرك بأعمارهم؟"

"لا، هذا ليس ضروريًا. ما عدد الأفراد العاملين؟"

"زوجي."

"هو فقط؟"

"حسن، نعم إنه يعيلنا جميعًا. أعني أن ابنتي الكبرى تعمل أيضًا، إنها مصممة ديكور داخلي، لكنها هواية فقط، كما تعرفين. لا يريد لها زوجي أن تفعل لكني مع شباب اليوم في هذا الأمر".

"نعم، أفهم ذلك. هل هناك من يرتاد المدرسة؟"

ضحكت المرأة.

"يا له من سؤال. نعم بالطبع. ما يزال الولد في المدرسة الابتدائية، وأصغر الفتيات في السنة الرابعة من الثانوية، والتي تكبرها على وشك التخرج من كلية الطب. إنها ذكية، هذه الفتاة، ولا أقول ذلك لأنني أمها". نظرت آنا خلسة إلى الطبق المقدم أمامها. فحولت عينها عنه مرغمة.

"كم عدد غرف النوم في المنزل؟"

"ماذا؟"، أشرقت المرأة في البدء ثم همدت "آه، خمس، خمس غرف نوم".

ألقت آنا نظرة إلى الفناء: لا يبدو أنه منزل كبير. أوه، حسن. وكتبت في المربع "خمس" ونظرت إلى المرأة.

"حسن جدًا" بنبرة معلمة في نهاية الدرس.

"هل هذا كل ما في الأمر؟"

وضعت آنا قلمها وعدّلت أوراقها معًا.

"انتهينا"، قالت.

لاحظت تعبير المرأة الساحر للحظة قبل أن تقرر تناول الطبق بنفسها، وفجأة غنت المرأة لنفسها بنعومة. إنها تبدو أصغر الآن: لقد كانت تشع.

"إذن هذا هو كل ما في الأمر" دمدمت بتأمل.

أكلت آنا، وقد كان الطعام شهيًا حقًا، ويمكن للمرأة أن تتحدث الآن كما تشاء. عن زوجها المثالي وبناتها الموهوبات الثلاث وابنها الأشقر الممتلئ الخدين فخر العائلة وبهجتها. لم لا؟ لكل امرئ كنز صغير. تناول الطعام جعلها متسامحة.

"لم يكن الأمر بذلك السوء، أليس كذلك؟" سألت بمرح.

هزت المرأة رأسها، لا يبدو أنها قد تدرك تمامًا كل الأمور الغريبة

التي حدثت للتو. بوجل، أشارت إلى النماذج.

"وهذه، إلى أين ستذهب؟" سألت.

"هذه؟" نظرت آنا إلى الأوراق بحذر "لا أدري، أظن أنهم سيستخدمونها في الإحصائيات أو شيء من هذا القبيل".

"إحصائيات" كررت المرأة على نحو حالم.

عند التفكير ثانية، ربما كان من الأفضل إنهاء الطعام سريعًا والانطلاق قبل أن تبدأ المرأة الحديث ثانية. "انزل من هناك حالًا!"، سمعت أحدهم يصرخ "لن أفعل!" إنهم الجيران الملاصقون؛ أناس مزعجون كما، قالت المرأة. "انزل!".

"قلت إنني لن أفعل"، لقد أصبح الصوت أعلى أو أقرب، "أريد لوح التزلج الخاص بي".

نظرت آنا إلى مصدر الصوت، ورأت رأس ولد أشقر يظهر من فوق الجدار الفاصل. "قلت لك انزل، ستقع".

"تناولي طعامك بسرعة وإلا فإنه سيبرد."

"أريد لوح التزلج خاصتي"، ردد الولد "أميليا!"

"سيدة أميليا"، صححت الجارة.

"سيدة أميليا"، صاح الولد "هل أنت هناك؟"

نظرت آنا إلى المرأة التي كانت تتناول طعامها وعيناها مثبتتان على الطبق.

"سيدة أميليا!". رأى الولد آنا في المطبخ "هي أنت!"، صاح "هل السيدة أميليا موجودة؟"

نظرت آنا إلى المرأة التي كانت ما تزال تركز على طبقها.

"اسمعي"، قالت بحنق "إنهم يسألون عن السيدة أميليا، ألا تسمعينهم؟"

"وما شأني بذلك؟"، قالت المرأة "هل يتوقع مني معرفة الجميع في الجوار؟"

"هلا أسديت لي صنيعًا؟"، سأل الولد آنا "أعرتها إياه لأنها قالت إنها تريده لابن أخيها لكن قالت لي أمي الآن إنها ليس لديها أبناء أخوة أو غيرهم. و أنت لست ابن أخيها بأي شكل؟"، وضحك مبتهجًا بنكتته، ودمدمت الجارة بشيء غير مسموع. "علي النزول الآن وإلا قتلتني، لكن إن رأيت السيدة أميليا أخبريها أرجوك".

وكممثل يختتم دوره، اختفى الولد وشعره الأشقر الكثيف عائدًا إلى ما وراء الجدار.

"هل انتهيت؟"

رفعت آنا نظرها مندهشة. كانت المرأة تقف بجانبها تمامًا، وقد بدا أن تلك الروح المتدفقة التي أحاطت بها قبلًا مثل هالة قد اختفت تمامًا.

رفعت الأطباق ووعاء الحساء، وقد ألقت كل الطعام المتبقي في سلة القمامة بدقة وتصميم.

خطر لآنا أن كل ذلك العمل قد ضاع سدىً، وتذكرت الأكواب الستة وشريحة الخبز نصف المأكولة وأرادت أن تخرج من المكان بأقصى سرعة ممكنة.

"حلوى؟"

نظر إليها الوجه دون تعبير، كما لو أن المرأة شعرت أنها مكرهة بلا رحمة على أداء دورها حتى النهاية.

"لا، شكرًا لك، علي الذهاب."

نهضت ولملمت أشياءها، ورفعت المرأة ذراعها قليلًا.

"إذن هذا لن...؟"

وتوقفت لوهلة. وقعت نظرة آنا على يدها التي تشير بوجل إلى الأوراق.

"هذا سيبقى كما هو" قالت آنا بهدوء شديد.

لوهلة، استعادت المرأة الروح التي جعلتها تتألق قبلًا.

"شكرًا لك"، قالت بصوت خفيض.

ثم في صمت، قادت آنا إلى الباب، ولم تجب آنا عندما قالت لها وداعًا أو حتى تنظر إليها، وانتظرتها حتى تغادر ثم أغلقت الباب بقوة مديرة المفتاح مرتين.

ماريو بينيديتي (1920-2009)

روائي وشاعر من الأورغواي. كان عضوًا في حركة ثقافية وأدبية في بلاده، وكتب في صحيفة المسيرة أو "Marcha " إلى أن أغلقتها الحكومة العسكرية عام 1973. اختار بينيديتي العيش في المنفي بعد الانقلاب في بلده فاتجه إلى الأرجنتين ثم البيرو واعتقل هناك وغادرها بعد إطلاق سراحه إلى كوبا ثم إلى إسبانيا. في فترة مرضه أنشأت بيلار دل ريو (زوجة الكاتب خوسيه ساراماغو) موقعًا إلكترونيًا يتيح لزواره مشاركة قصائد بينيديتي المفضلة لديهم وإرسال أمنيتهم له بالشفاء. توفي في مونتيفيديو عن عمر يناهز الثامنة والثمانين، بعد أن عانى مشاكل تنفسية عدة.

حققت مجموعته القصصية الأولى "أهالي مونتيفيديو" له شهرة واسعة، رغم أن كتابيه الأولين لم يحققا له مكسبًا ماديًا، وانتهى به الأمر أن يدفع للناشرين كما قال في إحدى حواراته! حصل على ثلاثة عشر جائزة أدبية في حياته، وقد رشح الفيلم المقتبس من روايته "الهدنة" لجائزة الأوسكار. نشر له ثمانون كتابًا في عشرين لغة، وقد ترجم عدد من أعماله إلى العربية مثل "عشيقات الماضي البعيد"، "بقايا القهوة"، "الهدنة" وأعمال أخرى.

يقول في واحدة من قصائده الأخيرة: "حين تدفنوني / لا تنسوا أن تضعوا في تابوتي قلم بيرو[1]"

1- بيرو Biroعلامة تجارية لأقلام الحبر الجاف.

عائلة إريارتي

كان هناك خمس "عائلات" قد اتصلت بالمدير، وكنت قد ميزت كل الأصوات حين أجبت الهاتف في المناوبة الصباحية. نعرف جميعًا أن كل "عائلة" كانت علاقة غرامية من علاقاته، وكنا نتبادل الانطباعات أحيانًا.

بالنسبة لي مثلًا، كانت عائلة كالفو امرأة ممتلئة جريئة قصيرة تكبّر شفتيها بأحمر الشفاه، وعائلة روز كانت امرأة مولعة بالثياب بلا أناقة تسرح شعرها ليغطي عينًا واحدة، وعائلة دوران كانت نحيلة مثقفة واحدة من أولئك الضجرين والذين لا يعارضون أمرًا، وعائلة سالجادو كانت امرأة ممتلئة الشفاه من النوع الذي يحسن الإغواء الجنسي. الوحيدة التي بدت امرأة مثالية كانت عائلة إريارتي، ليست بدينة ولا نحيلة وبمنحنيات كافية لجعلك تبارك تلك النعمة التي منحتها لنا أمنا الطبيعة، ليست عنيدة ولا صاغرة، امرأة حقيقية، امرأة ذات شخصية- هكذا تخيلتها. بدأت أعرف ضحكتها العفوية المعدية وابتكرت لها شخصية تتماشى معها، وتفحصت لحظات صمتها واستخدمتها لرسم عينيها، عينين رائعتين، داكنتين وحزينتين، وأصغيت إلى صوتها الدافئ الودود وتصورتها جميلة وحنونة.

كانت آراؤنا مختلفة حسب العائلة التي نتحدث عنها، فإليزالاد

مثلًا يرى أن سالجادو كانت قصيرة ومملة، وروسي يرى أن كالفو كانت متزمتة، وكوريا يرى أن روز كانت مجرد متحررة عابثة أخرى. لكن حين يصل النقاش إلى عائلة إرياريتي، نتفق جميعنا على أنها كانت الضربة القاضية، بل اتفقنا كثيرًا على هيئتها، من نبرة صوتها فقط، كنا متأكدين أنها إن مشت في المكتب يومًا وابتسمت ببساطة دون أن تقول كلمة فسنعرفها كلنا فورًا، لأننا منحناها جميعًا الابتسامة نفسها التي لا يمكن أن نخطئها.

المدير – الذي كان يثرثر دومًا عن الأمور السرية التي نتعامل معها في المكتب- كان يبدي تحفظًا شديدًا حين يتعلق الأمر بالعائلات الخمس. في هذا الإطار، كانت حواراتنا معه موجزة على نحو مثبط، إذ نجيب الهاتف ببساطة ونضغط الجرس الطنان خاصته لنقول، مثلًا، "عائلة سالجادو"، فيجيب: "سأقبل المكالمة"، أو "أخبرهم أنني لست هنا"، أو "دعهم يتصلون بعد ساعة" دون تعليق أو حتى مزحة، رغم أنه يعلم أنه يستطيع الوثوق بنا.

لم أتمكن من معرفة لماذا كانت عائلة إرياريتي هي الوحيدة التي تتصل أقل من العائلات الخمس، مرة واحدة كل أسبوعين أحيانًا. وبالطبع حين تتصل يظل مصباح "مشغول" مضاء لربع ساعة. سأتخلى عن أي شيء مقابل إمضاء خمس عشرة دقيقة كاملة أصغي فيها إلى صوتها الجميل العذب الواثق.

امتلكت الشجاعة ذات يوم لأقول شيئًا ما، لا أذكر ماذا كان، وأجابتني، ولا أذكر بما أجابتني. يا له من يوم! بعد ذلك، ظللت آمل أن أحظى بفرصة الحديث إليها لوقت أطول بحيث تتمكن من تمييز صوتي كما أميز صوتها. ذات صباح خطرت لي فكرة ذكية في أن أقول لها "هل تمانعين في الانتظار ريثما أصلك به؟" وقالت "بالطبع لا، إن كنت ستظل بصحبتي أثناء انتظاري". أعرف أنني كنت أحمق بلا شك ذلك اليوم، لأن كل ما استطعت الحديث عنه كان الطقس والعمل والتغيير المحتمل للجدول. لكني تمالكت شجاعتي مرة أخرى وتحدثنا حقًا، عن أمور عامة، لكن بمعاني خاصة. ومنذ ذلك اليوم صارت تميز صوتي وتحييني بقولها "كيف تجري الأمور مع السيد السكرتير؟" وكان هذا مفاجئًا لي بلا شك.

بعد بضعة أشهر من هذا التطور الجديد، ذهبت في إجازة إلى الشاطئ. كانت إجازاتي على البحر لسنوات أملي الأفضل للقاء بإحداهن. كنت أظل أفكر أنني في إحدى هذه الرحلات سألتقي بفتاة أحلامي، فتاة يمكنني أن أفرغ عليها كل مشاعري المخبوءة، لأنني —كي أكون صادقًا- أصبح حساسًا عند استحضارها. أحيانًا أوبخ نفسي من أجل ذلك، وأحاول إخبار نفسي أنه من الأفضل اليوم أن أكون هادئًا وواثقًا، لكني يائس. أذهب إلى السينما وأجلس لمشاهدة واحد من تلك الأفلام المكسيكية المبكية عن أطفال يتامى وشيوخ مفلسين، ورغم أنني أعلم أنه مجرد هراء، إلا أنني مع ذلك أشعر بغصة في حلقي.

بخصوص ذلك الأمر المتعلق بالعثور على امرأة على الشاطئ، عندما بحثت في روحي وجدت بضعة دوافع أقل عاطفية، فالحقيقة أن كل النساء اللاتي تراهن على الشاطئ كاملات بصحة جيدة وقد حظين بقسط من الراحة ومستعدات للضحك والتسلية. لا أعني هنا أنه ليس هنالك نساء كاملات في مونتيفيديو، بالطبع يوجد، لكن الانزعاج لارتداء أحذية بكعوب عالية واستقلال الحافلة وصعود كل تلك السلالم يجعلهن متعبات و متعرقات و نزقات. في المدينة تنسى تمامًا كيف تبدو المرأة السعيدة، وهذا أمر أكثر أهمية مما يبدو عليه. شخصيًا، يمكنني التغاضي عن أي نوع من السوداوية الأنثوية، وأشك أن هنالك نوعًا من البكاء أو الصراخ أو الهستيريا لا يمكنني احتماله. لبعض النساء ضحكة لا أستطيع تحملها حتمًا. في المنتجعات الساحلية هذه، حيث تضحك كل النساء منذ نهوضهن من النوم صباحًا من أجل الغطسة الأولى، حتى اللحظة التي يترنحن بها أثناء الخروج من الملهى في وقت متأخر من الليل، يمكنك حقًا معرفتهن ومعرفة أيهن ذات ضحكة مريعة وأيهن ضحكتها مبهجة.

كنت على وجه التحديد في منتجع ساحلي عندما سمعت صوتها ثانية. كنت أرقص بين الطاولات الصغيرة على الشرفة، تحت ضوء القمر دون أن ينتبه إلي أحد. كانت يدي اليمنى تستلقي على ظهر عارٍ ما يزال دافئًا من أثر شمس ما بعد الظهيرة، وكانت صاحبة ذلك الظهر تضحك وضحكتها حلوة، ضحكة جديرة

بالاهتمام. كنت كلما استطعت أسترق النظر إلى الخصلة شبه الشفافة من الشعر الأشقر قرب أذن شريكتي، ولأخبرك الحقيقة، لقد كنت مغرمًا بحق. لم تكن تكثر من الحديث، لكنها عندما تنطق كانت تقول أشياء غبية جدًا بحيث كنت أقدر صمتها.

أثناء واحدة من فترات صمتها البهية سمعت أحدهم يسأل بوضوح كما لو أن السؤال قد خُلق لأذنيّ: "وما هو شرابك المفضل؟" سؤال سخيف، من قبل ومن بعد، لكني أذكره بحذافيره. كنا في واحدة من لحظات الازدحام المروري التي يخلقها التانغو، وجاء الصوت من مكان قريب، لكني لم أتمكن من ربطه بأي واحد من الأرداف التي كانت تسحج ردفي عندها.

بعد ليلتين، كنت في الملهى قد خسرت للتو تسعين بيزو عندما خطرت لي الفكرة الجامحة باللعب بخمسين على الكرة الأخيرة، وإن خسرت؛ حسنٌ سيكون الأمر هكذا: سيكون علي العودة إلى مونتيفيديو مباشرة، لكنها توقفت عند اثنين وثلاثين فشعرت براحة وأمل لا نهائيين حين صرفت القطع البرتقالية الثماني التي راهنت بها على هذا الرقم، ثم قال لي أحدهم في أذني كما لو كان في سماعة هاتف: "هذه هي الطريقة الوحيدة للعب، عليك أن تنتهز الفرص".

استدرت بهدوء عارفًا ما سأجد، وفي الواقع، كانت عائلة إرياريتي تقف هناك بجانبي تمامًا، كل قضمة شهية من نبرة صوتها كانت

مثلما تخيلناها سابقًا في المكتب. لم يكن من الصعب التقاط ما قالته للتو بوضع خطة للمغامرة وجعلها تدخل مجازفة محسوبة معي، تكلمنا قليلًا ورقصنا قليلًا واتفقنا على اللقاء على الشاطئ في الغد.

منذ تلك اللحظة صرنا نفعل كل شيء معًا، وأخبرتني أن اسمها كان دوريس، دوريس فيريري. ووجدت أن هذا حقيقي فعلًا (لسبب ما كانت قد أرتني بطاقة هويتها) ومعقول جدًا. كنت دومًا أشك في أن "العائلات" كانت مجرد أسماء هاتفية. كانت هذه هي طريقتي لرؤية الأمور منذ اليوم الأول، من الواضح أنها كانت على علاقة مع المدير، كان من الواضح أنه جرح كبريائي، لكن (لاحظ كم هي جيدة لكن هذه) حدث أنها المرأة الأكثر جاذبية قد سبق لي لقاؤها؛ وكنت سأجازف باحتمال فقدانها للأبد (لقد قرّبها القدرمني الآن) لو لم أتنازل قليلًا.

بالإضافة إلى أنه كان هنالك احتمال آخر، إن كنت قد ميزت صوتها لمَ لم تتمكن دوريس من تمييز صوتي؟ بالنسبة لي طبعًا كانت دومًا وهمًا باهرًا منيعًا، حين بدأت أدخل عالمها. ومع ذلك، جربت صباحًا للقائها بقول "كيف تجري الأمور أيتها الآنسة السكرتيرة؟" بمرح وتقبلتها ضاحكة وهي تجذب ذراعي، وأخذت تستفزني بامرأة سمراء ترتدي تنورة كانت قد مرت بنا، لم أستطع منع نفسي من ملاحظة توترها، كما لو أن شكًا ما قد استيقظ. ولم يمر وقت طويل بعد ذلك على أية حال حتى بدا الأمر كما لو

أنها أكثر صمودًا حيال احتمال أنني قد أجبت اتصالاتها الهاتفية للمدير، ومع كل الحديث العذب والنظرات المشجعة التي ظلت ترسلها لي تجرأت على الأمل بأكثر: من الواضح أنها قدرت كثيرًا عدم ذكري له في حين أنني لم أكن متأكدًا تمامًا، إذ قد تقابل حساسيتي بقطع العلاقة معي قريبًا. كنت دومًا أستطيع قراءة الوجوه، ووجه دوريس كان صادقًا بالتحديد.

عدت إلى العمل. كنت أؤدي مهمتي الصباحية على الهاتف كل يوم، ولم يعد هنالك مكالمات من عائلة إرياري.

كنت أقابل دوريس بعد الظهيرة من كل يوم بعد العمل. كانت تدير مكتبًا في وزارة العدل ولها راتب جيد ويبدو أن الجميع يحبها.

لم تخفِ دوريس أسرارًا عني، فقد كانت حياتها كتابًا مفتوحًا، لكن ماذا عن ماضيها؟ بقدر ما كانت مشاعري مضطربة، كنت سعيدًا أنها لم تحاول تضليلي، اندفاعها – أو مهما يكن- مع المدير لم يكن ليسمم نصيبي من السعادة. توقفت مكالمات عائلة إرياري، فما الذي سأطلبه أكثر؟ كانت دوريس تفضلني على المدير وسرعان ما سيكون لها مجرد ذكرى سيئة تتورط بها أي امرأة شابة.

حذرت دوريس من الاتصال بي في العمل، لا أذكر ما السبب الذي ذكرته لها، لكن بصراحة لم أرغب أن يجيبها إليزالاد أو

روسي أو كوريا فيميزون صوتها، ويختلقون عندها واحدة من قصصهم الحقيرة التافهة. على أية حال، بدا أنها— راضية ومطمئنة كعادتها- لا تمانع في ذلك. كنت مسرورًا جدًا لأرى تفهمها حيال هذا التابو، وممتنًا لأنها لم تدفعني لاختلاق حجج مثيرة للشفقة من النوع الذي يجعل المرأة تتساءل إن كانت نواياك نبيلة.

اصطحبتني إلى منزلها للقاء بأمها، امرأة طيبة، رغم أنها مملة قليلًا، لقد فقدت زوجها قبل اثني عشر عامًا ولم تتعافَ تمامًا. نظرت إلى دوريس وإليّ بتعبير من الموافقة اللطيفة، لكن كانت عيناها تمتلئان بالدموع أحيانًا، ربما حين تتذكر تفصيلًا من مغازلتها. كنت أبقى حتى الحادية عشرة ثلاث مرات في الأسبوع، وفي العاشرة كانت تتمنى ليلة طيبة باحتشام، فيكون لدى دوريس وأنا ساعة لنتعانق ونتحدث عن المستقبل، ونقدر تكلفة الشراشف ومساحة الشقة التي نحتاجها، تمامًا مثل مئات الآلاف من الأزواج في أنحاء البلاد، الذين كانوا بلا شك في هذه اللحظة يتبادلون عناقات وأحاديث مماثلة. لم تذكر والدة دوريس المدير أبدًا أو أي أحد آخر كان مهتمًا بدوريس. كنت أتلقى معاملة تكرسها الأسر المحترمة لخاطب ابنتهم الأول، وكنت أكثر من سعيد لقبولها.

ألم أستطع منع نفسي أحيانًا من الشعور برضا لئيم، لأنني حظيت (لاستغلالي ومتعتي الخاصة لا أقل) بواحدة من أولئك النساء المنيعات، اللاتي تراهن عادة في أحضان الوزراء ورجال الإدارات العامة أو كبار المسؤولين، وكنت أنا مجرد مساعد إداري وضيع.

كانت دوريس تجذبني –علي الاعتراف بهذا– أكثر وأكثر في كل أمسية نقضيها سويًا، فقد كانت عذبة وكريمة بمشاعرها، وكان لها طريقة في التقبيل وتمسيد عنقي من الخلف، وفي الهمس بغزل رقيق وهي تقبلني كان يجعلني أترنح من السعادة و، نعم، من الرغبة في كل مرة أغادر فيها منزلها. عائدًا إلى مربع العزوبية خاصتي متقلبًا على فراش الوحدة، كنت أعذب نفسي بهاجس أن مهارتها الرائعة تعني خبرتها، لكن عندها (هل هذه نعمة أو نقمة؟) لا أستطيع إلا أن أفكر بالمدير، متزمت جدًا ومحتشم جدًا ومتجهم ومحترم جدًا، ولا يمكنني ببساطة تخيله معها كمعلم محسود. هل كان هنالك آخرون إذن؟ ما عددهم؟ وأكثر من ذلك، من علمها أن تقبل على هذا النحو؟ كنت دومًا أنتهي بتذكير نفسي أننا في عام ألف وتسعمئة وستة وأربعين لا العصور الوسطى، وأنني الآن كنت الشخص الأهم في حياتها، وكنت أغط في النوم معانقًا مخدتي، البديل التافه لعناقات أخرى تصورتها دومًا في خيالاتي، والتي سيتعين علي انتظار الفوز بها.

حتى الثالث والعشرين من شهر نوفمبر، بدا الأمر كما لو أنني منساق بسهولة نحو الزواج لا محالة، وكنت كذلك. كل ما كان علينا فعله هو العثور على الشقة التي أرغب بها، مكان فيه الكثير من النوافذ والهواء المنعش ونور الشمس. أمضينا عددًا من الآحاد ونحن نبحث عن الشقة لكن كلما عثرنا على واحدة تعجبنا، كانت غالية جدًا أو بعيدة جدًا عن خط سير الحافلة، أو أن دوريس وجدت أن المنطقة محبطة جدًا أو نائية جدًا.

في صباح الثالث والعشرين كنت مناوبًا في العمل، ولم يكن المدير قد أتى منذ أربعة أيام، لذا كنت أسترخي وحدي وأقرأ مجلة وأدخن سيجارة. سمعت فجأة الباب يفتح من خلفي، فاستدرت بكسل لأرى وجه دوريس الفاتن والمتردد نوعًا ما ينظر إلي، كانت تبدو كما لو أنها تشعر بالذنب قليلًا لأنها، كما شرحت، كانت تخشى أن أغضب. كان السبب الذي دعاها للقدوم إلى المكتب هو أنها عثرت أخيرًا على شقة معقولة التكلفة بكل المواصفات التي أردنا، كانت قد رسمت خارطة أنيقة للشقة وأرتها لي. من الواضح أنها كانت سعيدة جدًا. كانت تبدو ساحرة بثوبها الصيفي الخفيف، بذلك الحزام العريض الذي عانق خصرها بشكل رائع. وبما أننا كنا وحدنا فقد اعتلت مكتبي وقاطعت ساقيها وأخذت تسأل أين يجلس كل من روسي وكوريا وإليزالاد، لم تكن تعرف أيًا منهم شخصيًا، لكنها كانت تعرف كل طرائفهم ونقاط ضعفهم من تقليدي لهم. كانت قد أشعلت للتو واحدة من سجائري، وكنت أمسك بيدها عندما رن الهاتف. التقطت السماعة وقلت: "مرحبًا" ثم قال الهاتف "كيف تجري الأمور يا سيد سكرتير؟"، وبدا أن الحياة تجري كما كانت العادة. لكن في الدقائق القليلة التي استغرقتها المكالمة التي كنت خلالها نصف مذهول سألت بآلية: "حسن، كيف حالك بعد هذا الوقت كله؟" ورد الهاتف: "كنت مسافرة إلى تشيلي". لقد تغير كل شيء حقًا. دارت الأفكار في ذهني مثل الأفكار الأخيرة لرجل

يغرق. الفكرة الأولى "إذن لم يكن للمدير أي علاقة بها"، وقد أرضت كبريائي. وكانت الثانية تقريبًا: "إذن دوريس...؟" وأما الثالثة فقد كانت حرفيًا: "كيف أمكنني أن أخلط هذا الصوت بصوت آخر؟"

بينت للهاتف أن المدير ليس هنا، قلت وداعًا ووضعت السماعة. كانت يدها ما تزال في يدي، ثم رفعت نظري عارفًا ما سأجد. هناك على مكتبي، ما زالت تفكر بخارطتها الغبية للشقة وتدخن سيجارة مثل أي امرأة متحررة متعالية سخيفة، جلست دوريس بابتسامة على وجهها. ابتسامة مصطنعة فارغة، بالطبع، من ذلك النمط الذي تراه على أي وجه، ابتسامة هددتني بالضجر طوال الطريق نحو الأبدية. لاحقًا، سأحاول أن أعقل الأمر كله، لكن في هذه اللحظة عميقًا في مكان ما في قلبي كنت قد فرغت من سوء الفهم الصغير هذا، لأن الحقيقة هي أنني مغرم بعائلة إرياريتي.

هيلين نيانا

قاصة من أوغندا، أسست موقعًا إلكترونيًا ودار نشر "S000 many stories" لنشر الأدب الأوغندي. نشر لها العديد من القصص في الكثير من كتب المختارات، منها كتاب "جائزة كين للأدب الأفريقيCaine Prize for African Writing عام 2013". تعتبر توني موريسون وتشيماماندا نجوزي أديتشي من الكاتبات المفضلات لديها على الإطلاق.

انتظار

لقد أحسنت المرأة التي ترتدي بلوزة بنفسجية وتنورة بخصر عالٍ وحذاء بكعب قصير حتمًا انتقاء ثيابها بطريقة بسيطة لكنها مغوية. كل شعرة في مكانها تمامًا، عليّ النهوض وإمعان النظر للتأكد من ذلك، زينة متقنة وأظافر نظيفة قصيرة. تقع الأزرار المغلقة لقميصها كثير الأزرار أعلى نهديها بقليل، مما يسمح لي باستراق النظر قليلًا بترقب ماكر كلما تنهدت. لكنها رغم ذلك مغرورة، فحين حاولت قبلًا تحيتها وتعريفها بي أجابتني بأدب، لكنها رفضت عامدة إخباري اسمها، و بدلًا من ذلك نهضت وجلست على الطرف الآخر من الطاولة متظاهرة بقراءة كتاب. لا يمكن لأحد إقناعي أن باستطاعة المرء التركيز في كتاب أثناء انتظاره حدثًا مصيرية، لذا لا شك أنها كانت تتظاهر. ثم تأتي المرأة المرضعة، هذا لا يعني أنها قد جاءت مع طفلها إلى مقابلة العمل، لكن العقدة المحكمة حول صدرها تلفت الانتباه أكثر إلى النهدين الناهضين، والفضل في ذلك يعود إلى فعالية الحمالة الرافعة طبعًا. إنها تواصل النظر إلى نفسها في مرآة صغيرة وتضيف طبقة إثر أخرى من الملمع على شفتيها. ربما تكون ضجرة مثلنا جميعًا، نحن الذين نجلس في صالة الانتظار، لكنها تنوي بلا شك الاعتماد على نهديها للظفر بالوظيفة. يتعين على هذين النهدين أن يقوما بعمل جيد اليوم، وإلا فأنني أكره التفكير بما ستفعله

بهما إذا خذلاها، أقول لنفسي. أفتح هاتفي من نوع "إتش تي سي" وأكتب في تويتر: لو كنت أعلم أن للنهدين دورًا كبيرًا في الحصول على وظيفة، لكنت ولدت امرأة #لن أفوز.

تقع صالة الانتظار في آخر ممر طويل بجانب قاعة الاجتماعات ذات الباب الخشبي الكبير، التي سيجرى فيها الاختبار الكتابي والمقابلات الشفهية، قسمت الغرفة بلوح من الزجاج وباب منزلق. كان الزجاج منقوشًا بحيث يمكن للأشخاص بالداخل أو أولئك الذين في الخارج رؤية أشكال فقط على كلا الجانبين دون إبراز الملامح. كانت مفروشة بأناقة بأرائك سوداء وطاولة من الزجاج في منتصف الغرفة، صفت عليها مجلات أعمال ونشرات تعريف بالمنظمة التي تجري المقابلات؛ الوزارة. أدخل ستة منا من صالة الاستقبال إلى الغرفة، فهمهمنا بتحية أولئك الذين يجلسون جانبنا في الصف وحاولنا أن نبحث عن أماكن مريحة في الغرفة التي تستوعب عشرين شخصًا بسهولة. اخترت المقعد الأقرب للمدخل فيما لو احتجت للانطلاق خارجًا، كما أنه يسمح لي برؤية كل الأشخاص المتقدمين للوظيفة.

كانت النشرات التعريفية هي أول ما التقط، مثل شطائر اللحم الساخنة في حفلات الكوكتيل التي تنفد سريعًا. لا بد للمرء من معرفة الشركة التي يود العمل بها قدر استطاعته كما أظن، فأخذت واحدة من آخر اثنتين وبدأت بتصفحها.

قاطع قراءتي رجل مسن قصير يرتدي معطفًا واسعًا يصل حتى أرض الغرفة. قال بصوت عالٍ وواثق "صباح الخير جميعًا، كيف حالكم اليوم؟" فغمغمنا كلنا بكلام غير مفهوم، وقد أفاق بعضنا من عوالمه الخاصة عند حضوره الطاغي. لو لم أكن قد التقيته قبلًا في المقابلة الكتابية التي خضعنا لها في نامبول، كنت سأظنه يعمل في الوزارة أصلًا تبعًا لنبرة صوته، وجاء ليعطينا تعليمات حول الخطوة التالية من عملية الانتقاء. تقدم وصافح بعض الأيدي ناثرًا مجاملات أكثر، وهو يقفز فوق الأشخاص ليصل إلى أولئك الجالسين على الطرف الآخر من الطاولة. كانوا قد أدفؤوا مقاعدهم ويرفضون التخلي عن مراكزهم ذات الإطلالة الاستراتيجية، فعثر على مقعد في الطرف الآخر من الطاولة مقابل المدخل تمامًا وتقدم ليسحب مجموعة من الأوراق وبدأ بتصفحها بتركيز بالغ كما لو كان يحضر لامتحان نهائي. يمكنك القول إنه قد صبغ شعره مؤخرًا من الحواف السوداء بشكل غير طبيعي على فروة رأسه. "كان عليك إزالة هذه اللحية تمامًا يا صاح لأن تلك الشعرات الرمادية لا تساعدك في مهمة الظهور بمظهر شاب"، أقول مؤنبًا الرجل المسن ذا المعطف الواسع.

بعد أن رفع نظره عن أوراقه، بدا أنه قد تعرف إلى المرأة التي جاءت بعده واختارت الجلوس قربي. اكتشفت من حديثهما لاحقًا أن اسمها ليديا. جلست وبدأت بتصفح الصحيفة التي تحملها معها، وكانت تهمهم ببعض التعليقات حول عناوين

الأخبار وسخرت من الصورة التي تظهر مديرًا تنفيذيًا لمصرف يسلم دمية لطفل نحيل. كان الجسد الضامر قد احتل الصفحة الأمامية الأسبوع الماضي.

"مسؤولية اجتماعية مشتركة، عجبي!" دمدمت.

رفعت رأسها والتقت نظرتها بالرجل المسن القصير ذي المعطف الواسع.

"أرى أنك نجحت في الوصول إلى هذه الجولة"، قال لها وهو يصافح يدها بحماس وينظر من حوله كما لو أنه يريد التأكد أننا سمعناه.

"وكذلك فعلت أنت"، قالت مبتسمة "كيف حالك يا مزي؟ علينا التوقف عن اللقاء هكذا" أضافت وهي ترفع حقيبتها عن المقعد المجاور مقدمة إياه له.

جلس قربها وبدأ الاثنان بالحديث. يمكنني أن أقول من حديثهما إنهما التقيا عدة مرات في شركات مختلفة، متقدمين دومًا لوظيفة أو لأخرى.

"لا، لم ندخر فرصة في ذلك العمل البرلماني. هل رأيت كومة الرسائل حيث كانت تلقى رسائل طلباتنا؟" كان يسأل بنبرة خطابية. "أراهن لو أننا عرفنا من هو المحرر الحالي للهانسارد (سجلات النقاشات البرلمانية)، لا بد أنه شخص يعرف أحدًا هناك". أضاف بابتسامة منكسرة.

بدأ الرجل المسن بخطبة حول رغبته في التخلي عن عملية البحث عن عمل لولا الأطفال الذين يتوجب عليه تسجيلهم في المدرسة. قوطع الخطاب الذي كان سيتحول إلى حفلة شفقة عندما دخل واحد ممن سيجرون المقابلات وأعلن أن المقابلة التالية ستبدأ سريعًا، وأن علينا الانتقال إلى قاعة الاجتماعات المجاورة. وقف شخصان آخران قرب الباب لاهثين متفقدين ساعاتهما، وقد علت الراحة وجهيهما لنجاحهما في الوصول إلى الجولة التالية. انتقلنا إلى الغرفة الأخرى واتخذنا مقاعدنا وتأهبنا لاختبارنا الكتابي الثاني.

"وقعت كارثة طبيعية في إحدى المناطق الريفية تسبب بمقتل عشرة أشخاص ونزوح مئات الأسر. اكتب خطابًا سيلقيه وزير إدارة الكوارث حين يذهب لمساندة الناجين".

كان هذا سؤالنا الأول.

هذا السؤال، بدلًا من أن يثير الحماس أو الهلع، ذكرني بأبي. كان يقول لي دومًا إنني أجيد استخدام الكلمات وإنني هنا بسببه. حين قال لي أول مرة أن أتواصل مع صديقه في الوزارة من أجل وظيفة في الاتصالات رفضت فورًا. كنت قد عدت للتو من واحدة من أفضل الجامعات التقنية في ماليزيا حيث حصلت على البكالوريوس في الفن بتخصص تطوير الألعاب، ولم أكن لأضيع وقتي في أن أصبح ما يقترحه أبي. يعبس الناس دائمًا حين يعرفون

طبيعة دراستي، ويتساءل الكثيرون عن سوقها في بلد من بلدان العالم الثالث، ولكن كيف سنصبح عالمًا ثالث أقل تخلفًا إن لم نقدم بعض الأمور التي تعلمناها في العالم الأول؟ ولم لا يستطيع طلاب العالم الثالث دراسة التخصصات التي يشغفون بها، بدلًا من الانصياع لسوق العمل المحدود في بلادهم؟

أذكر تمامًا اليوم الذي بدأ فيه ولعي بألعاب الفيديو. كنت في السادسة من عمري وقد عاد أبي لتوه من رحلة إلى الخارج فقدم لي "سوبر ماريو برو"، كان قد قرر أن يشتري لي سيارة، لكن عندما رأى صديقه الأمريكي يختار المستطيل الرمادي لابنه في المتجر قرر أن يجلب لي اللعبة. لم يكن يعرف كيف تعمل لذا كان علي تعليم نفسي. تقسم أمي أنهم لم يرونني لأسبوع. لم أستطع تفنيد تلك التهمة بأن ألعاب الفيديو قد أصبحت أفضل أصدقائي وأنها أشعلت ولعي بها. في كل مرة يسافر فيها أبي في رحلة لم أكن أطلب منه أن يجلب لي آخر صيحات الموضة من الثياب بل أحدث ألعاب الفيديو. استحوذت أسطورة زيلدا وسلاحف النينجا ومحارب التنين على سنوات مراهقتي المضطربة، عندما كنت أفر إليها محاولًا تجاوز تعلقي بكريستال جارتنا عندما رغبت بإثارة إعجاب بيلا أول فتاة تزور منزلنا عندما كنت في السابعة عشرة. وتدرجت فيما بعد إلى آساسين كريد وبلاك أوبس وباتلفيلد 3 على الشبكة ومودرن وورفير 3 وقد ختمت حبي لألعاب الفيديو.

قابلت عبر السنوات أشخاصًا باهتمامات مماثلة، وحين كنت في ماليزيا قررت أن آخذ دروسًا لأتمكن من إطلاق لعبتي الأولى في البلاد عند عودتي. حلمت كل يوم بهذا وأن أفعل شيئًا أحبه. سخر أبي من الفكرة كما سخر من كل الاقتراحات التي أقدمها له، وقال إن الأمر لن ينجح أبدًا على الرغم من أنه ما يزال يدفع أقساط دراستي ويحرص على أن أكون مرتاحًا كطالب مغترب. لا بد أنه كان يأمل أنني سأتخلى عن الفكرة حين أتخرج. كان يردد دومًا أنني كنت جيدًا في التواصل وأنه كان معجبًا بالقصائد التي أكتبها، كنت أستمتع بمراقبة تململه حين يسأل أصدقاؤه عن دراستي، وقد أصبح بارعًا في إدارة دفة الحديث باتجاهه فيقول "إنه يدرس الهندسة لكنه يكتب بشكل جيد أيضًا"، كما لو أنه يحاول منعي من التصريح بالمهنة التي أرغب بها.

أخبرني عن وظيفة شاغرة كموظف اتصالات قبل أن يعلن عنها في الصحف، ولم يثر ذلك دهشتي، فلا بد أنه أخبر أصدقاءه أنني عائد للوطن وأنه يحتاج وظيفة لابنه. وعندما رفضت ألقى عليّ محاضرة طويلة كيف أنه جارى خياراتي الطفولية بما يكفي، "لقد حان الوقت لتكون واقعيًا وتبحث عن عمل مطلوب في السوق" أخبرني. فقلت له إنهم يرسلوننا إلى الخارج لنتعرف إلى أفكار جديدة ونجلبها إلى بلداننا ونجعلها مكانًا أفضل.

حاولت جاهدًا إقناعه، "لاشك أنني سأعمل على نجاحها، فقد أجريت كل الأبحاث عما سأحتاجه. إن كنت ستستثمر معي فسأرد لك المبلغ مع الفائدة في الأشهر الستة الأولى".

لم يناسب هذا أبي "اسمع أيها الشاب"، قال لي "لقد بددت ما يكفي من مالي مسبقًا ولن أنفق حتمًا فلسًا آخر على أفكارك الحالمة في الألعاب وغيرها". نتأ عرق في جبهته كما يفعل دومًا حين يكون مصممًا على الفوز في جدال.

لسوء الحظ، لم يخطر ببالي حين كنت في الخارج وأعيش في بحبوحة أن أدخر قليلًا من المال الذي كان أبي يرسله لي، فلم يبد أي اعتراض فيما يتعلق بمعظم الأمور التي أخبرته بها، لذا آمنت دومًا أنه سيكون متحمسًا للاستثمار في اللعبة.

تلقيت مكالمة بعد أيام، كانت هناك امرأة على الخط وأخبرتني عن اختبار كتابي قادم لوظيفة في نامبول ويتوقع مني الحضور، حتى لو أنني لم أتقدم لها.

وهكذا انتهى بي الأمر في صباح أربعاء حار في نامبول أتسابق مع حوالي مئة شخص من أجل شاغر واحد، كنا جميعًا نرتدي أكثر ثيابنا أناقة، لأن بعضنا كان يرتدي بدلاتهم أو الأحذية ذات الكعوب العالية للمرة الأولى. اختبرت معلوماتنا حول التصريحات الصحافية واستراتيجيات العلاقات العامة ولا بد أنني أبليت حسنًا، إذ ها أنا هنا ثانية أجلس من أجل اختبار كتابي آخر مع عشرة أشخاص.

كنا نلهث ولم نكن نشعر بالراحة.

"لا أذكر شيئًا مما قلته بعد رؤيتي له. لقد اتصلت هذا الصباح

لأقول إنني مريض لأحصل على راحة بقية اليوم، أظنهم يحتاجون شخصًا ذا خلفية صحفية لتقييم عملنا"، قالت وهي تقاوم دموعها.

فكرت بأطفال الرجل المسن القصير، ومحاولات المرأة المرضعة وفلورانس التي كانت تقضم أظافرها بتوجس. لست أدري إن كان هذا ما يرغبون بفعله دومًا، لكنهم يحاربون من أجل الحصول عليه. لقد ترددت على لجان كهذه من قبل حين كنت أقدم فكرة لعبتي الأولى في الجامعة، وقدمت أفكارًا أكثر في المسابقات التي أقيمت في مختلف الجامعات دوليًا. كان الأساس في إيمانك بما تبيع وألا يعتريك الشك بما آمنت به. لقد كانت هذه قناعتي على أية حال، وكان علي أن أنقل هذا الإحساس لا شعوريًا إلى اللجنة، لأنني – ليبتهج أبي وأصاب أنا بيأس عميق- قد تلقيت مكالمة بعد أسبوع لإبلاغي بأنني موظف الاتصالات الجديد في مكتب صديقه.

شيروود أندرسون (1876-1941)

روائي وقاص أمريكي وأحد رواد المدرسة الواقعية، كان متأثرًا بكل من جرترود شتاين ومارك توين ووالت ويتمان. يرى سكوت فيتزجيرالد أن أفضل أعمال أندرسون الروائية هما "زيجات متعددة" و"دائرة الموت". من الواضح أن حياته الزوجية لم تلق نجاحًا كمسيرته الأدبية، فقد تزوج أربع مرات وانتهت ثلاث منها بالطلاق. توفي في بنما متأثرًا بالتهاب الصفاق، مخلّفًا ثلاثين عملًا تقريبًا بين الرواية والمسرحية والقصص القصيرة والمقالات.

كذبة غير معلنة

كان راي بيرسون وهال وينترز عاملين في مزرعة تقع على بعد ثلاثة أميال شمال واينسبرغ. كانا يذهبان إلى البلدة بعد الظهيرة أيام السبت ويتجولان في شوارعها مع أصدقاء آخرين من الريف.

كان راي رجلًا صامتًا مضطربًا بعض الشيء، في الخمسين من عمره بشعر بني وكتفين مدورين بفعل العمل الكثير والشاق، وكان ذا طبيعة تختلف عن طبيعة هال وينترز كما يختلف الرجال.

كان راي رجلًا جادًا بشكل عام، وكان له زوجة ذات تقاطيع صارمة وصوت حاد أيضًا، وكان كلاهما يعيش مع نصف دزينة من الأطفال نحيلي السيقان في منزل خشبي متداعٍ قرب الجدول خلف مزرعة آل ويلز حيث يعمل راي.

أما صاحبه هال وينترز فقد كان شابًا، ولم يكن ينتسب لعائلة نيد وينترز المحترمة في واينسبرغ، بل كان واحدًا من ثلاثة أبناء لرجل عجوز يدعى ويندبيتر وينترز يملك منشرة قرب يونيونفيل على بعد ستة أميال، وكان الجميع في واينسبرغ يرونه عجوزًا فاسقًا مدمنًا.

يتذكر أهل الجزء الشمالي من أوهايو التي تقع فيها واينسبرغ العجوز ويندبيتر لحادثة موته المأساوية الغريبة، فقد ثمل ذات مرة في البلدة وأخذ يقود عربته عائدًا للمنزل في يونيونفيل على طول

سكة الحديد. وقد أوقفه هنري براتنبرغ، الجزار الذي يسكن قرب ذلك الطريق على حدود البلدة، وأخبره أنه سيصطدم بالقطار حتمًا، لكن ويندبيتر جلده بسوطه وواصل القيادة. عندما صدمه القطار وقتله مع حصانيه، شهد فلاح وامرأته الحادث في طريق عودتهما إلى منزلهما، وقالا إن ويندبيتر العجوز وقف على مقعد عربته مجذفًا وهائجًا على القطار المندفع، وأنه صاح بجذل عندما انقض طاقم القطار – الغاضب من تلويحه المستمر بالسوط– عليه بالموت المحتوم. سيذكر صبية مثل الفتى جورج ويلارد وسيث ريتشموند الحادث بوضوح لأنهما آمنا سرًا أن العجوز يعرف ما يفعل وأعجبا بشجاعته الحمقاء، رغم أن الجميع في البلدة قال إنه سيذهب إلى الجحيم مباشرة وإن البلدة ستكون أفضل دونه بلا شك. كثيرًا ما يمر الأولاد بأوقات يفضلون فيها الموت بعظمة على أن يصبحوا أجراء في متجر بقالة ويمضوا في حياتهم الرتيبة.

لكن القصة ليست عن ويندبيتر وينترز ولا عن ابنه هال الذي يعمل في مزرعة آل ويلز مع راي بيرسون، إنها قصة راي، ولا بد على أية حال من الحديث قليلًا عن الشاب هال لتتمكن من استيعاب القصة.

كان هال رجلًا سيئًا، الجميع يقول ذلك. كان لعائلة وينترز ثلاثة أبناء جون، هال، إدوارد، وكلهم عريضو المناكب وضخام الأجسام مثل ويندبيتر العجوز نفسه، وكان كل منهم يحسن القتال، كان كل منهم زير نساء، وبشكل عام كان كل منهم سيئًا.

كان هال الأسوأ في العصبة، كما أنه كان مستعدًا دومًا لأي عمل شيطاني، فقد سرق ذات مرة حمولة ألواح خشب من منشرة أبيه وباعها في واينسبرغ، واشترى لنفسه بالمال بدلة من القماش الرخيص الفاقع اللون، ثم شرب حتى ثمل. وحين جاء والده إلى البلدة هائجًا بحثًا عنه أخذا يتلاكمان بقبضاتهما في الشارع الرئيس وألقي القبض عليهما وسجنا معًا.

توجه هال إلى العمل في مزرعة ويلز لأنه كان متيمًا بمعلمة مدرسة كانت تسلك ذلك الطريق. كان حينها في الثانية والعشرين من عمره، ولكنه ورط اثنتين أو ثلاثًا من النسوة في واينسبرغ، وكل من سمع بأمر افتتانه هذا بمعلمة المدرسة، كان متأكدًا من أنها ستنتهي نهاية سيئة، "سيورطها في المشاكل وحسب وسترى!" كانت هذه هي الجملة المتداولة آنذاك.

وهكذا كان هذان الرجلان، راي وهال، يعملان في المزرعة في نهار من آخر أيام أكتوبر، وكانا يقشران الذرة، كانا يتبادلان الكلام قليلًا ويضحكان ثم يخيم الصمت. كان راي أكثر حساسية ويفكر بالأمور كثيرًا، وكانت يداه المشققتان تؤلمانه فيضعهما في جيوب معطفه وينظر بعيدًا عبر الحقول. كان حزينًا شارد الذهن متأثرًا بجمال الريف. إن كنت تعرف ريف واينسبرغ في الخريف وكيف تتلون التلال الخفيضة باللونين الأحمر والأصفر، فستتفهم مشاعره. أخذ يتذكر حين كان منذ زمن بعيد يعيش مع والده الخباز في واينسبرغ، وكيف كان يتجول في الغابات في أيام كهذه

لجمع الجوز وصيد الأرانب، أو يكتفي بالتجول بكسل فقط وهو يدخن غليونه. لقد وقع زواجه في واحد من أيام تجواله، فقد استدرج فتاة كانت تنتظر المقايضة في متجر والده للذهاب معه وحدث أمر ما. كان يفكر ببعد الظهيرة تلك وكيف أثرت في حياته كلها عندما أخذ يبدي اعتراضه. كان قد نسي تمامًا أمر هال ودمدم "لقد خدعني القدر، هذا ما كنته، مخدوعًا بالحياة ومغرورًا بها" قال بصوت خفيض.

تحدث هال وينترز كما لو أنه فهم أفكاره "حسن، كل كان الأمر يستحق العناء؟ ماذا عنه؟ ماذا عن الزواج وغيره؟" سأله ثم ضحك. حاول هال مواصلة الضحك لكنه كان أيضًا في مزاج سيء، وأخذ يتحدث بجدية "هل على الرجل أن يقوم بذلك؟"، سأل "هل عليه أن يضع لجامًا ليُساق في هذه الحياة كالحصان؟".

لم ينتظر جوابًا لكنه قفز ناهضًا وأخذ يمشي جيئة وذهابًا بين أعواد الذرة المهتزة، وبدأ حماسه يزداد فانحنى فجأة والتقط ورقة ذرة صفراء ورماها على السياج "لقد ورطت نيل جنتر" قال "أنا أخبرك بهذا لكن عليك ألا تفشي السر".

نهض راي بيرسون ووقف محدقًا. كان أقصر من هال بقدم تقريبًا، وعندما تقدم الشاب واضعًا يديه على كتفي العجوز بدا المشهد مثل لوحة. وقفا هناك في حقل كبير فارغ وسط أعود الذرة التي تقف في صفوف خلفهما والتلال ذات اللونين

الأحمر والأصفر، وقد أصبحا مفعمين بالحيوية معًا بعد أن كانا مجرد عاملين فاترين. أحس هال بذلك، ولأن هذه كانت طريقته فقد أخذ يضحك "حسن، يا أبي العجوز" قال جادًا " هيا، انصحني. لقد ورطت نيل في المتاعب، وربما مررت أنت بالموقف نفسه. أعرف ما الذي سيراه الجميع بأنه الصواب، لكن ماذا تقول أنت؟ هل أتزوجها وأستقر؟ هل أضع اللجام حول عنقي لأساق مثل حصان عجوز؟ أنت تعرفني يا راي، لم يعد بإمكان أحدهم هزيمتي بعد اليوم، لكني أستطيع كسر نفسي. هل أقوم بذلك؟ أو أقول لنيل أن تذهب إلى الجحيم؟ هيا أخبرني وسأفعل ما تقوله لي".

لم يستطع راي الرد، واكتفى بمصافحة يد هال بارتخاء واستدار وأخذ يمشي باتجاه الحظيرة. كان رجلًا حساسًا، وقد اغرورقت عيناه بالدمع، وكان يعرف أنه هنالك أمرًا واحد ليقوله لهال ابن ويندبيتر وينترز، أمرًا واحدًا يتماشى مع سلوكه ومعتقدات كل الناس الذين يعرفهم، لكنهم من أجل حياته لم يستطع قول ما كان يعرف أن عليه قوله.

كان راي يمشي بلا هدف في الحظيرة في الساعة الرابعة من بعد ظهر ذلك اليوم عندما خرجت زوجته إلى الدرب قرب الجدول ودعته. لم يعد إلى حقل الذرة بعد حديثه مع هال، بل توجه ليعمل في الحظيرة، وكان قد أنجز كل المهام المسائية، ورأى هال مرتديًا ثيابه مستعدًا لليلة عربدة في البلدة وقد خرج من بيت

المزرعة واتجه صوب الشارع. مشى خلف زوجته بتثاقل طول الطريق مطرقًا ومفكرًا، ولم يستطع الإفصاح عما يشعر به. كان يرغب بفعل شيء لم يسبق له القيام به —كأن يصرخ أو يهتف أو يضرب زوجته بقبضته أو يفعل شيئًا مفاجئًا ومفزعًا بقدر ذلك- كلما رفع نظره ورأى جمال الريف الغارق في الضياء الشاحب. مضى طوال الطريق يحك رأسه ويحاول القيام ذلك الأمر، نظر إلى ظهر زوجته بصعوبة لكنها بدت على ما يرام.

لقد أرادت فقط أن يذهب إلى البلدة لجلب البقالة، و بدأت بتعنيفه حالما أخبرته بما تريد "إنك تتسكع دومًا" قالت "والآن أريدك أن تسرع فليس لدينا في البيت شيء من أجل العشاء وعليك الذهاب إلى البلدة والعودة منها بسرعة".

دخل راي منزله وأخذ معطفًا معلقًا على المشجب خلف الباب، لقد كانت جيوبه ممزقة كما كانت ياقته مهترئة. دخلت الزوجة غرفة النوم وعادت تحمل خرقة وسخة بيد وثلاثة دولارات فضية بيد أخرى. كان هناك طفل يبكي بحرقة في مكان ما من المنزل، ونهض الكلب الذي كان يرقد إلى جوار الموقد وتثاءب، ووبخته الزوجة مرة أخرى وسألت "سيواصل الأطفال البكاء. أين تتسكع دومًا؟"

خرج راي من المنزل وتسلق السياج إلى الحقل. لقد بدأ الظلام يخيم وأصبحت المناظر أمامه جميلة، صارت كل التلال المنخفضة

مغسولة باللون وكانت أغصان الشجيرات الصغيرة في زاوية السياج مفعمة بالجمال. أخذ العالم كله لراي بيرسون يصبح مفعمًا بشيء كان قد شعر به هو وهال فجأة عندما وقفا في حقل الذرة ينظران في عيون بعضهما بعضًا.

كان جمال الريف في واينسبرغ كثيرًا جدًا على راي ذلك المساء الخريفي، وكان هذا فوق احتماله، فنسي فجأة كل ما يتعلق بكونه عامل مزرعة عجوز وألقى بالمعطف المهترئ وبدأ يجري عبر الحقول، كان يصرخ أثناء جريه محتجًا على حياته وعلى الحياة كلها وعلى كل شيء يجعل الحياة قبيحة. "لم أقطع وعدًا" صاح عبر الفضاءات الفارغة أمامه، "لم أقدم وعدًا بأي شيء، ولم يعِد هال نيل بأي شيء، أعرف أنه لم يفعل. لقد ذهبت إلى الغابة معه لأنها أرادت ذلك، لقد توافقت رغباتهما، فلمَ علي دفع الثمن؟ لماذا على هال أن يدفع الثمن؟ لماذا على أحدهم أن يفعل؟ لا أريد لهال أن يصبح عجوزًا مستغَلًا، سأخبره ولن أدع الأمر يتم. سأعثر على هال قبل أن يذهب إلى البلدة وأخبره".

ركض راي على نحو أخرق وتعثر، "لا بد أن أجد هال وأخبره" ظل يفكر بذلك، ورغم أنه أخذ يلهث فقد ظل يجري بشكل أسرع، وأخذ يفكر أثناء جريه أنه لم يكن بهذا المزاج منذ سنوات —وكيف أنه كان قد خطط عند زواجه للسفر غربًا إلى عمه في بورتلاند، أوريجون وأنه لم يرغب في أن يكون عاملًا في مزرعة، بل خطط أن يصبح بحارًا عندما يذهب إلى البحر غربًا أو أن

يعمل في مزرعة للمواشي ويركب الخيل في البلدات الغربية، يصرخ ويضحك موقظًا الناس في منازلهم بصياحه الهائج، ثم تذكر أطفاله أثناء جريه وشعر في خياله بأيديهم تتشبث به، كل ما كان يتصوره عن نفسه كان يتصوره عن هال، وتخيل الأطفال يتشبثون بالشاب أيضًا. "إنهم كارثة الحياة يا هال!" صاح "إنهم ليسوا أطفالي ولا أطفالك وليس لدي ما أقدمه لهم".

بدأ الظلام يخيم على الحقول حين كان راي بيرسون يجري ويجري، وقد تحول نفَسه إلى شهقات صغيرة. عندما وصل السياج على حافة الطريق والتقى بهال وينترز مرتديًا كامل ثيابه ويدخن غليونه وهو يمشي متبخترًا، لم يستطع إخباره بما كان يفكر به أو بما أراد قوله.

فقد راي بيرسون أعصابه وكانت هذه نهاية القصة لما حدث له. لقد حل الليل حين بلغ السياج ووضع يديه على اللوح العلوي ووقف متأملًا. قفز هال فوق حفرة واقترب من راي ووضع يديه في جيوبه وضحك، وبدا أنه قد فقد إحساسه بما حدث في حقل الذرة، فوضع يده القوية وأمسك بتلابيب معطف راي، وهز الرجل العجوز كما لو أنه يهز كلبًا أساء التصرف.

"لقد أتيت لإخباري، أليس كذلك؟"، قال "حسن، لا تجهد نفسك بقول أي شيء لي، فأنا لست جبانًا. لقد اتخذت قراري فعلًا". ضحك ثانية وقفز من فوق الحفرة "نيل ليست حمقاء"،

قال "لم تطلب مني الزواج بها، أنا من يرغب بذلك وأن أستقر ويكون لي أولاد".

ضحك راي بيرسون أيضًا، وشعر أنه يسخر من نفسه ومن العالم كله، وحين اختفى جسد هال في الغسق الذي خيم على الطريق المؤدي إلى واينسبرغ، استدار ببطء عائدًا عبر الحقول إلى حيث ترك معطفه. أثناء مشيه تذكر الأمسيات السارة مع الأطفال ذوي السيقان النحيلة في المنزل المتداعي قرب الجدول، وهمهم قائلًا: "كل شيء على ما يرام، ومهما كان ما سأقوله له سيكون كذبًا". قال بنعومة واختفى جسده في ظلام الحقول.

ليديا ديفيس (1947)

قاصة وروائية أمريكية. تعمل أستاذة للكتابة الإبداعية في جامعة ألباني في نيويورك. ترجمت العديد من الأعمال الفرنسية الهامة إلى الإنجليزية، مثل مدام بوفاري لجوستاف فلوبير وطريق البجع لمارسيل بروست. فازت بجائزة البوكر عام 2013. نشر لها رواية "نهاية القصة" عام 1997، كما نشرت ست مجموعات قصصية.

تقول عن قصة رسالة إلى غرفة الموتى إنها بدأتها كرسالة شكوى تحتج فيها على المفردات التي يستخدمها الموظفون، وإنها بدأت كتابتها كرسالة جادة وأخذت ترى بعض الطرافة في الموضوع، ثم وجدت أنها كانت قطعة أدبية وليست رسالة شكوى، وأرسلتها بالرغم من ذلك، لكنها لم تتلق ردًا. من الواضح أنها في هذه القصة تمارس ذكاءها في اللعب بالكلمات، لكنها في الوقت نفسه تشير إلى القسوة التي يظهرها بعض الأشخاص في استخدام الكلمات، دون انتباه لمشاعر الآخرين.

رسالة إلى غرفة الموتى

السيد المحترم

أكتب لك هذه الرسالة للاعتراض على كلمة رماد[1] التي استخدمها ممثلكم عندما التقى بنا أمي وأنا بعد يومين من موت أبي.

ليس لدينا اعتراض شخصي على ممثلكم الذي كان محترمًا وودودًا وتعامل معنا بأسلوب حساس، ولم يحاول بيعنا جرة غالية (لحفظ الرماد)، مثلًا.

الأمر الذي صعقنا وأربكنا كان الكلمة "بقايا". لا بد أنكم في مجال عملكم قد ابتكرتم هذه الكلمة واعتدتم استخدامها، لكننا نحن العامة لا نسمعها كثيرًا، فنحن لا نفقد صديقًا مقربًا أو أحدًا من أفراد العائلة كثيرًا في حياتنا، والسنوات تمر أثناء ذلك، إن كنا محظوظين. بل إننا قليلًا ما نضطر لنقاش ما يتعين علينا فعله بصديق مقرب أو أحد من العائلة بعد موته.

لاحظنا أنكم قبل قد استخدمتم أنتم وممثلكم لفظة "حبيبنا" قبل رحيل للإشارة إليه، وكان ذلك مريحًا لنا حتى إن كانت الطرق التي أحببناه بها معقدة.

ثم كنا نجلس على مقاعدنا هناك في غرفة المعيشة محاولين ألا ننحب أمام ممثلكم، الذي كان يجلس على الأريكة المقابلة لنا،

1- تستخدم الكاتبة لفظة Cremains وتعني الرماد الناتج عن حرق جثة.

وكنا متعبين في البداية من الجلوس مع أبي، ومن ثم من القلق حيال مدى راحته وهو يحتضر، ومن القلق حول مكانه عند موته، وممثلكم يشير إليه بكلمة "بقايا".

في البداية لم نكن نعلم حتى ما يعنيه، ثم، عندما فهمنا، كنا مستائين بلا شك، فكلمة "بقايا" تبدو مبتكرة مثل بدائل الحليب في القهوة، مثل كريمورا أو مبيض القهوة (كوفي ميت)، أو تبدو مثل طبق من لحم العجل المقطع.

كامرئ يكسب قوته من العمل بالكلمات، علي القول إن أي كلمة مبتكرة مثل بورتا بوتي أو بوبر سكوبر[1] لها رنة مبهجة أو جذلة جدًا لا أظنكم كنتم تقصدونها حين ابتكرتم كلمة "بقايا". في الحقيقة، إن أبي نفسه الذي كان أستاذًا للغة الإنجليزية وصار يدعى الآن "بقايا"، كان سيبين لكم الجناس والإيقاع في بوبر سكوبر، ثم سيود إخباركم أن رماد تندرج في الفئة نفسها مع البرنش[2]، ومعروفة ككلمة منحوتة.

ليس هنالك خطأ في ابتكار الكلمات، خاصة في مجال الأعمال، لكن عائلة حزينة لن تكون مستعدة لهذا، فنحن لم نعتد حتى رحيل حبيبنا. يمكنكم مواصلة استخدام مصطلح الرماد، فقد اعتدناه من قراءة الإنجيل ويشعرنا بالراحة، ولن نسيء فهمه، بل سنعرف أن هذا الرماد لا يشبه الرماد في الموقد.

المخلص

1- بورتا بوتي تعني المرحاض المتنقل، وبوبر سكوبر هي أداة لالتقاط مخلفات الكلاب.

2- كلمة منحوتة من كلمتي breakfast و lunch، وهي وجبة أمريكية تشمل الإفطار والغداء.

زوران جيفكوفيتش (1948)

كاتب صربي. يعمل أستاذاً للكتابة الإبداعية في جامعة بلغراد. اقترح عليه وكيل أدبي أن ينشر ما يكتب باسم "دونالد ليفنجستون" ليصبح أدبه رائجًا في الولايات المتحدة لكنه رفض ذلك. حصل على العديد من الجوائز الأدبية، فقد فازت روايته "الدائرة الرابعة" بجائزة "ميلوس كرينجانسكي Milos Crnjanski" عام 1997، وفازت روايته القصيرة "المكتبة" بجائزة "وورلد فانتازي أوورد World Fantasy Award" عام 2003. صدر له العديد من الأعمال مثل "الكاتب" 1998، "سبع لمسات من الموسيقى" 2001، "القارئ" 2006، "الكتاب الأخير" 2007.

بدأ الكتابة في الخامسة والأربعين من عمره، وحين سئل عن ذلك قال: "أعتقد أنه لكل مهنة عمرها المثالي، وفي الكتابة أرى أن الخمسين هي العمر الأفضل". قورنت كتابته بأعمال بورخيس وكالفينو اللذين تأثر بهما وإن لم يكن بشكل مباشر ويعتبرهما من كتّابه المفضلين إلى جانب كل من أمبرتو إيكو وكازو إيشيجورا وباتريك زوسكند وميخائيل بولغاكوف.

كلمات

كان السيد بلوشال جامعًا للكلمات. لقد بدأ بفعل ذلك حين كان في السادسة والخمسين من عمره، بعد قراءته لمجموعة مختارات من قصائد الحب للمرة الأولى. كان كتابًا صغيرًا ذا غلاف ورقي على غلافه زهرة بنفسجية، رغم أن الرائحة التي تفوح من الكتاب كانت تتنافى مع هذه الصورة، فقد كان للكتاب رائحة كريهة نتنة كالتي تتسلل إلى الكتب بعد قضائها وقت طويل في قبو الكتب المستعملة.

كان من الممكن ألا يشتري السيد بلوشال المجموعة الشعرية. ورغم أنه كان يتردد بانتظام على متاجر الكتب إلا أنه نادرًا ما اشترى كتبًا. وعندما يفعل كانت كتبًا من نمط مختلف تمامًا. لقد كان يمتلك مكتبة صغيرة في منزله، تتألف بشكل أساسي من الكتيبات حول الاعتناء بالنباتات المنزلية مثلًا. لم يكن لديه أي نبتة، لكنه يعد نفسه مطلعًا كثيرًا على الموضوع، أو كتيب عن القطط، لم يكن لديه قطة لأنه يعاني حساسية من فرائها، ولكن إن سأله أحدهم فسيتمكن من تقديم نصائح كثيرة مفيدة، كما كان لديه كتيب عن صيانة المجمدات وإصلاحها، في الحقيقة لم يكن بحاجة إلى مجمدة، لكن المعرفة كانت أمرًا يستحق العناء.

لقد قرر شراء المجموعة الشعرية من أجل زهرة الغلاف، فقد

كان يعرف باعتباره خبير نباتات أن زهرة كهذه ليست موجودة، وكان هذا سر إغوائها له. أخذ الكتاب إلى المحاسب بشيء من الاضطراب، فقد بدا من غير اللائق لرجل في عمره أن يظهر اهتمامًا بالشعر الرومانسي، لقد كان الأمر أشبه بشراء مجلة إباحية. من حسن حظه أن البائعة لم تنظر إلى الغلاف، واكتفت بالنظر إلى السعر وتناولت النقود التي أعطاها لها.

كان يعرف القليل عن الحب بالطبع، ولم يكن ذلك من واقع خبرته الشخصية، لكن هل كان ذلك ضروريًا؟ يولد الناس غالبًا بوعي كهذا، ولا يمكن للأمر أن يكون بغير هذا الشكل. حين بدأ بقراءة الكتاب عاوده الإحساس بالتوتر، رغم أنه كان يقرأه وحيدًا، حتى إنه احمر خجلًا، وشعر بالراحة عندما وجد أن المجموعة الشعرية يمكن اعتبارها كتيبًا عن الحب، وعندها أصبح كل شيء أكثر سهولة وبهجة.

أصابته الدهشة عندما وجد أن الكلمات في الكتاب قد فتنته أكثر من الأحاسيس الناعمة السامية، ثم أدرك فجأة أمرًا كان قد فاته الانتباه إليه قبلًا. الكلمات الجميلة موجودة، لم تكن خاصة أو نادرة بالضرورة، بل كانت كلمات عادية يمكن العثور عليها في كتب أخرى أيضًا، لكنها لسبب أو لآخر لم تبدُ جميلة في الكتيبات أو ربما لم تلتقط عيناه جمالها.

كلما قرأ أكثر، كان الخوف يغمره أكثر من فقدان شيء ما.

كانت الكلمات التي يخلفها وراءه عندما يقلب الصفحة تشحب وتختفي وتظهر أخرى جديدة لتحل محلها. لكن هذا لم يكن عزاءً كافيًا له، كان عليه الاحتفاظ بالسابقة بطريقة ما، إذ ليس من المعقول أن يدعها تختفي. كان بإمكانه العودة من أجلها طبعًا، لكنه لن يتمكن من إنهاء الكتاب أبدًا. لا، عليه أن يجد حلًا أفضل، فلمعت في ذهنه فكرة ملهمة.

اشترى دفترًا ضخمًا مسطرًا ذا غلاف جلدي، لا بد أن يكون دفترًا رائعًا ليفي بالغرض ويكون مستودعًا للكلمات الجميلة. كيف يمكنه كتابتها في دفتر عادي؟ سيكون ذلك تدنيسًا لها. عاد إلى أول المجموعة وهو يحمل الدفتر مفتوحًا أمامه، وكلما صادف كلمة جميلة دونها بسرعة بقلم الحبر خاصته، لم يكن مصنوعًا من الذهب حقًا لكن من الصعب بلوغ الكمال.

كان خطه أنيقًا، لم يكن مزخرفًا بل مدروسًا وصارمًا بعض الشيء، كان جميلًا بطريقته، وهو ما كان لازمًا فحسب لتدوين الكلمات الجميلة، ليس تظليلها بل الانسجام معها. كان يكتب عادة بخط كبير، لكنه جعل خطه أصغر لهذه المناسبة احتياطًا، فهو لا يعرف مقدار الكلمات الجميلة التي سيعثر عليها. لقد كان الدفتر سميكًا، لكن عليه أن يكون حذرًا.

لم تواته الشجاعة لرؤية النتيجة حتى فرغ من كتابة كل الكلمات الجميلة في المجموعة. هل ستحتفظ بجمالها في دفتره أم ستفقده

كما حدث في الكتيب؟ تنفس الصعداء وهو يحمل الدفتر على مسافة قصيرة، عندما تأمل عن كثب الصفحات الأربع المملوءة. لم يكن جمالها كاملًا فحسب، بل بدا أنه تعاظم أيضًا، وكان هذا غالبًا بسبب وجود الكلمات الجميلة وحدها هناك، دونًا عن الأخرى التي لم تكن قبيحة تمامًا، لكنها ليست مميزة بأي شكل. كان الدفتر جمالًا مركزًا. تساءل بعد أن أنهى المجموعة ما الذي سيفعله تاليًا. لم يكن الدفتر قريبًا من الامتلاء، بل بدا كأنه بالكاد لُمس. هل سيتركه هكذا؟ سيبدو الأمر كما لو أنه اقتطع جزءًا من الجمال فقط. لا، عليه المتابعة، فلا بد أن هنالك كلمات جميلة، تستحق كلها أن تكون في مكان واحد، لكن أين يتعين عليه البحث عنها؟

أول ما تبادر إلى ذهنه طبعًا كان مجموعة أخرى من قصائد الحب. لا يمكن أن يكون مخطئًا. لقد قال في نفسه إن الكلمات الجميلة تحظى بتعابير رائعة في قصائد الحب، لكنه إن واصل شراء هذا النوع من الكتب، فسرعان ما سيفتضح أمره. يمكن لمجموعتين أو ثلاث أن تمر دون انتباه، لكن ثلاثمئة وخمس وثلاثين، العدد الذي رآه في فهرس المكتبة العامة، سيثير السخرية بلا شك. لا، عليه أن يفكر بأمر آخر، ولمعت في ذهنه فكرة ملهمة ثانية.

من قال إن الكلمات الجميلة توجد في مجموعات قصائد الحب فقط؟ لا بد أنها توجد في كتب أخرى، ولِمَ لا تكون في الكتيبات أيضًا؟ لقد صار خبيرًا بما يكفي لإدراك حقيقة رائعة؛ إن الكلمات

الجميلة في كل مكان، وليست البراعة في اختيار الكتب بل في اكتشاف الكلمات. عليك أن تتمتع بعين ثاقبة تلتقطها. كان قد ارتاب في امتلاكه للمهارة، وكانت هنالك طريقة سهلة للتحقق من الأمر. جذب أول كتيب وقع في متناول يده وفتحه. في تلك اللحظة كان قد أعماه وهج الكلمات الجميلة كما لو أن أحدهم ظللها بقلم مشع. لم يستطع مقاومة الرغبة في فتح دفتره والبدء بتدوينها. كان التفكر هو ما أوقفه، شيء جعله يشعر بالفخر بحق. لا يمكن للمرء أن يكون عفويًا جدًا، فإلى أين سيأخذه ذلك؟ سرعان ما استولى عليه التشوش، لا بد أن يكون حازمًا ومنهجيًا. وبعد التفكير في الظروف، عثر على الحل الذي هبط عليه مثل الوحي..

نازعته قليلًا فكرة تمزيق الصفحات الأربع الأولى من الدفتر حتى يتمكن من البدء من جديد، لكنه تخلى عنها. لا يمكنه بدء مشروع مهم كهذا في دفتر ممسوخ، لذا سيتعين عليه شراء دفتر جديد، سيكون هذا ملائمًا. اختار أكبر دفتر وجده، وقد كان يتمتع بميزة رائعة، ذلك أنه حوى شريطًا منزلقًا يتيح له تعيين الصفحة حيث توقف عن القراءة أو الكتابة.

كان القاموس الضخم يتألف من ستة عشر مجلدًا، وعندما فتح الأول صافح عينيه سرب من الكلمات الجميلة المتألقة، ولم يفزع من حجم ما ينتظره مستقبلًا، فقد كان —على أية حال- متأهبًا لذلك تمامًا. لم يدر بخلده أنه سيجد أي طريق مختصرة، فمهما

كان الوقت الذي سيحتاجه لكتابتها كلها، فإنه سيفعل ذلك على نحو متكافئ. لأن ما ينتظره مستقبلًا كان فرحًا وليس معاناة. حقًا، ما الذي سيكون أكثر بهجة من تدوين الجمال؟

عندما أنهى السيد بلوشال عمله أخيرًا، كان قد تجاوز السادسة والخمسين بكثير، لكن ذلك لم يقلل من إحساسه بالرضا والإنجاز. في المقابل، ما عدد الأشخاص الذين يستطيعون القول إن حياتهم لم تكن عبثًا لأنهم التقطوا الجمال؟ ظل هنالك أمر واحد عليه القيام به، فقد كان هناك مساحة متبقية تكفي لكلمتين أخريين فقط في أسفل الصفحة الأخيرة من الدفتر الممتلئ عن آخره، فرقق خطه للمرة الأولى منذ أن بدأ الكتابة، ما زال صارمًا لكنه كان ناعمًا وسخيًا أيضًا، كما يفترض بالتوقيع أن يكون. دخل الدفتر وسحب الغلاف الخلفي وراءه، كما لو أنه كان يرخي جفنًا ثقيلًا.

مارغريت آتوود (1939)

قاصة وروائية وشاعرة كندية. صدر لها العديد من المجموعات الشعرية والقصصية والروايات. حصلت على جائزة "آرثر سي كلارك Arthur C. Clark" عام 1987، وجائزة "أميرة أستورياس Princess Of Asturias Award" الإسبانية عام 2008، ووصلت إلى القائمة القصيرة لجائزة البوكر خمس مرات، وفازت بها مرة عام 2000.

لم يكن هنالك أي أدب كندي يذكر على حد تعبيرها حين بدأت الكتابة، ففي الستينيات من القرن الماضي مثلًا كانت هناك خمس روايات كندية، "لذا حين تسألون عن جيلي يمكنني القول إنني ذلك الجيل!"

مما صدر لها بالعربية "مفاوضات مع الموتى"، "القاتل الأعمى"، "البينيلوبية".

المسخ

ما الذي سيفعلونه بي؟ ما الذي يجب فعله بي؟ كان هذا هو السؤال نفسه، وكانت الاحتمالات محدودة، لقد ناقشتها الأسرة كلها بحزن وبلا نهاية، حين جلسوا جميعًا إلى طاولة المطبخ ذات ليلة، وهم يتناولون طعامهم من النقانق الجافة وحساء البطاطا، وقد أغلقوا النوافذ. إن كنت في واحدة من هيئاتي الطبيعية، فسأجلس معهم وأشارك في الحديث بقدر استطاعتي أثناء بحثي عن قطع البطاطا في طبقي. وإن لم أكن، سأختبئ في أكثر زوايا المطبخ عتمة، أموء لنفسي وأستمع إلى الأصوات المرتعشة التي لا يسمعها سواي.

"لقد كانت طفلة جميلة"، قالت أمي، "لم تكن تشكو شيئًا". لقد فاجأها أنها أنجبت شيئًا مثلي: لقد كان الأمر مثل تعزير أو عقاب، فما الذي فعلتَه؟

"ربما كانت لعنة" قالت جدتي. لقد كانت جافة ومشعرة مثل النقانق، لكن ذلك كان عاديًا نظرًا لعمرها.

"لقد كانت طبيعية لسنوات"، قال أبي، "لقد حدث ذلك بعد إصابتها بالحصبة.حين كانت في السابعة، حدث بعد ذلك".

"ومن الذي سيلعننا؟"، قالت أمي.

قطبت جدتي جبينها، فهي لديها قائمة طويلة من المرشحين، ولكنها رغم ذلك لم تتمكن من تسمية أحد. لقد حظيت عائلتي بالاحترام على الدوام، وبالحب إلى حد ما، وما تزال كذلك، وستظل إن استطاعت فعل شيء حيالي، قبل أن يفتضح أمري، إن أمكنني القول.

"لقد قال الطبيب إنه مرض"، قال أبي. كان يحب التصريح بأنه رجل منطق. أخذ الصحيفة، لقد كان هو من أصر على تعليمي القراءة وأصر على موقفه الشجاع بعيدًا عن كل شيء. لم يعد باستطاعتي السكون بين ذراعيه على أية حال، بل كان يجلسني على الطرف الآخر من الطاولة، ورغم أن هذا الإبعاد القسري آلمني إلا أنني تفهمت موقفه.

"إذن لماذا لم يصف لنا دواء؟"، قالت أمي. خارت جدتي غضبًا فقد كان لديها أفكارها الخاصة التي تتطلب فطرًا وماء عكرًا، لقد غطست رأسي مرة في ماء نقعت فيه الثياب المتسخة، وكانت تصلي أثناء ذلك. كانت تقصد إخراج الشيطان الذي كانت مؤمنة أنه تسلل عبر فمي و استقر قرب عظام صدري، لكن أمي قالت إنها كانت تضمر أطيب النوايا في قلبها.

"أطعموها خبزًا"، قال الطبيب، "ستحتاج الكثير من الخبز، والبطاطا أيضًا، وسترغب بشرب الدماء، دماء دجاجة ستفي بالغرض، أو دماء بقرة، ولا تسمحوا لها بتناول الكثير". لقد

أخبرنا باسم المرض الذي كان اسمه يتضمن حروف ب وس أو ر وس، لكنه لم يعنِ لنا شيئًا. لقد رأى حالة واحدة مثل هذه من قبل، قال وهو ينظر إلى عينيّ الصفراوين وأسناني الوردية وأظافري الحمراء والشعر الأسود الطويل الذي كان ينبت على صدري وذراعيّ. كان يريد اصطحابي إلى المدينة ليتمكن الأطباء الآخرون من إلقاء نظرة علي، لكن عائلتي رفضت. "إنها مسخ" قال الطبيب.

"ماذا تعني بذلك؟"، قالت جدتي. "تشوه خلقي" قال الطبيب. لقد أتى من مكان بعيد، كنا نحن من استدعاه، لأن طبيبنا الخاص كان سينشر الإشاعات. "إنها كلمة لاتينية، تعني وحشًا". كان يظن أنني لا أسمعه لأنني كنت أموء، "ليس ذنب أحد".

"إنها إنسانة"، قال أبي ودفع للطبيب مالًا ليرحل إلى مدينته البعيدة ولا يعود مرة أخرى.

"لماذا فعل الرب هذا بنا؟"، قالت أمي.

"لعنة أو مرض، ليس مهمًا"، قالت أختي الكبرى. "بكلتا الحالتين لن يتقدم أحد للزواج بي إذا اكتشف أمرها". هززت رأسي، فقد كانت محقة. لقد كانت فتاة جميلة ولم نكن فقراء، بل كنا موسرين تقريبًا، سيكون حظها أفضل من دوني.

كانوا يحبسونني في غرفة مظلمة في النهار، فلم يعد الأمر مزحة، وقد كان ذلك ملائمًا لي لأنني لم أكن أطيق ضوء النهار. وكنت

ليلًا، أتجول في أرجاء البيت أرِقة أصغي إلى شخير الآخرين وصراخهم بسبب كابوس. كان القط يرافقني دومًا، فقد كان الكائن الحي الوحيد الذي يرغب أن يكون قريبًا مني، لقد كانت تفوح مني رائحة الدم، الدم القديم الجاف، وربما كان يلازمني مثل ظلي، ويتسلقني ويبدأ بلعقي لهذا السبب.

أخبروا الجيران أنني أصبت بمرض مميت، بالحمى والهذيان، وكان الجيران يرسلون البيض والملفوف، ويزوروننا من حين لآخر لاستطلاع الأخبار، لكنهم لم يكونوا متلهفين لرؤيتي، إذ مهما كان المرض فلربما كان معديًا.

لقد قرروا أنني يجب أن أموت، وهكذا لن أقف في طريق أختي، لن أحوم فوقها مثل القدر. "من الأفضل أن تكون واحدة منهما سعيدة على أن تكونا بائستين"، قالت جدتي التي بدأت بتعليق رؤوس من الثوم حول إطار باب غرفتي. وافقت على هذه الخطة، فقد كنت أود المساعدة.

قمنا برشوة الكاهن، وإضافة إلى ذلك التمسنا منه إبداء التعاطف. يجب الجميع أن يظنوا أنهم يفعلون خيرًا فيما هم يقبضون مبلغًا من المال، ولم يكن كاهننا استثناء. لقد أخبرني أن الرب اختارني لأكون فتاة استثنائية، عروسًا إن أمكن القول. وقال إنني استدعيت للتضحية، وإن معاناتي ستطهر روحي. قال إنني كنت محظوظة لأنني سأظل بريئة طوال حياتي، ولن يرغب رجل بتلويثي ومن ثم سأدخل الجنة مباشرة.

لقد أخبر الجيران أنني مت كقديسة. مددوني لإلقاء النظرة الأخيرة في تابوت عميق جدًا في غرفة مظلمة جدًا مرتدية ثوبًا أبيض ومغطاة بالكثير من الحُجب البيضاء، كانت ملائمة لعذراء ونافعة في تغطية شعر وجهي. استلقيت هناك ليومين، رغم أنني كنت أستطيع التجول ليلًا. كنت أحبس أنفاسي عند دخول أحدهم. كانوا يمشون على أطراف أصابعهم ويهمسون، لكنهم لا يقتربون، كانوا ما يزالون خائفين من مرضي، وقالوا لأمي إنني بدوت كملاك.

جلست أمي في المطبخ وبكت كما لو أنني مت حقًا، وحتى أختي نجحت في التظاهر بالوجوم، وارتدى أبي بدلة سوداء، وخبزت جدتي، وقد أتخم الجميع. في اليوم الثالث ملؤوا التابوت بالقش الرطب ووضعوه في العربة لنقله إلى المقبرة ودفنه، مع صلوات وشاهد متواضع. تزوجت أختي بعد ثلاثة أشهر، لقد أخذت إلى الكنيسة في مركبة، وقد كانت تلك المرة الأولى في عائلتنا. لقد كان تابوتي درجة في سلم صعودها.

لقد أصبحت أكثر حرية بموتي، لم يكن مسموحًا لأحد باستثناء أمي بدخول غرفتي، غرفتي السابقة كما يسمونها. لقد أخبروا الجيران أنهم يبقونها كمزار لذكراي، وقد علقوا صورتي على بابها، صورة أخذت حين كنت ما أزال أبدو بشرية، لا أعرف كيف أبدو الآن، لقد كنت أتحاشى المرايا.

قرأت في العتمة كلًا من بوشكين واللورد بايرون وقصائد جون كيتس، وتعرفت إلى الحب الخائب والتحدي وحلاوة الموت، ووجدت تلك الأفكار مريحة. كانت أمي تجلب لي الخبز والبطاطا وكوب الدم وتأخذ المبولة. كانت تمشط لي شعري قبل أن يبدأ بالتساقط بكثافة، وكانت لها عادة في احتضاني والبكاء، لكن ذلك صار من الماضي فحسب. أخذت تدخل الغرفة وتغادرها بأسرع ما يمكنها. وكانت ممتعضة مني بالطبع مهما حاولت إخفاء ذلك. يمر وقت طويل تشعر فيه بالأسى على شخص ما قبل أن تبدأ بالإحساس أن مصابه ما هو إلا ضغينة يحملها لك.

لدي الجولة في المنزل ليلًا، ثم التجول في الفناء، ثم الغابة بعد ذلك. ليس عليّ القلق بعد الآن بشأن الوقوف في طريق الآخرين ومستقبلهم. بالنسبة لي ليس لدي مستقبل، لدي حاضر فقط، حاضر يتغير – كما بدا لي– مع تغيرات القمر. يمكنني القول إنني سعيدة لولا النوبات وساعات الألم والأصوات المرتعشة.

ماتت جدتي ثم أبي، وصار القط هرمًا، وغرقت أمي في اليأس أكثر. "يا طفلتي المسكينة"، كانت تقول رغم أنني لم أعد فتاة تمامًا، "من سيعتني بك بعد رحيلي؟"

كان ثمة إجابة واحدة لهذا؛ أنا. بدأت باستكشاف حدود قوتي، ووجدت أنني أمتلك منها قدرًا عظيمًا حين أكون لا مرئية أكثر منها حين أكون مرئية، والأكثر حين أكون نصف مرئية. لقد

أخفت طفلين في الغابة متعمدة، فقد أظهرت لهما أسناني الوردية ووجهي المشعر وأظافري الحمراء، وأخذت أموء في وجهيهما فركضا بعيدًا يصرخان. وسرعان ما أخذ الناس يتجنبون المرور بجهتنا من الغابة. اختلست النظر من نافذة ليلًا وسببت الجنون لامرأة شابة "شيء! لقد رأيت شيئًا!" أخذت تشهق. كنت شيئًا إذن. وفكرت بهذا، بأي شكل يمكن لشيء ألا يكون شخصًا؟

عرض غريب شراء مزرعتنا. أرادت أمي أن تبيعها وتنتقل للعيش مع أختي وزوجها الثري وعائلتها المتنامية المتعافية الذين رسمت صورهم مؤخرًا. لم يعد بإمكانها الصمود، لكن كيف ستتركني؟

"قومي بذلك" أخبرتها. أصبح صوتي نوعًا من الزمجرة. "سأفرغ غرفتي، ثمة مكان يمكنني البقاء فيه". كانت ممتنة لذلك، تلك المرأة المسكينة. لقد كانت متعلقة بي، كما لو كانت جلدة حول الأظفر أو ثؤلولة، لكنها كانت مسرورة بالتخلص مني، لقد أدت واجبها في حياتي بما يكفي.

أمضيت الأيام أثناء حزم الأمتعة وبيع الأثاث في كومة قش. لقد كان ذلك جيدًا، لكنه لن يكون مناسبًا في الشتاء. حين انتقل الساكنون الجدد، لم أواجه صعوبة في التخلص منهم، فقد كنت أعرف المنزل، بمداخله ومخارجه، أكثر منهم. واستطعت مواصلة جولاتي في العتمة، لقد صرت شبحًا، ثم صرت يدًا ذات أظافر حمراء تلمس وجهًا في ضوء القمر، صرت صوت المفصلة الصدئة

الذي كنت أصدره رغمًا عني. لقد فروا وأشاعوا عن منزلنا أنه مسكون، عندها صار لي وحدي.

لقد كنت أعيش على البطاطا المسروقة التي أحصل عليها تحت ضوء القمر، والبيض الذي أسرقه من قن الدجاج، كنت أسرق دجاجة بين الحين والآخر، أشرب دمها أولًا. كانت هناك كلاب حراسة، ورغم أنها كانت تنبح علي لكنها لم تهاجمني أبدًا، فلم تكن تعرف حقيقتي. جربت النظر في المرآة داخل منزلنا، يقولون إن الموتى لا يستطيعون رؤية انعكاسهم في المرآة، وتلك حقيقة إذ لم أستطع رؤية نفسي. لقد رأيت شيئًا ما، لكنه لم يكن أنا، فلم يكن شبيهًا بالفتاة البريئة الجميلة التي أعرف أنها أنا في قلبي.

لكن الأمور الآن ستنتهي، فقد صرت مرئية جدًا.

وهذا ما حدث.

كنت أقطف ثمر العليق عند الغروب، عند الطرف الذي تلتقي فيه الأشجار بالمرج، ورأيت شخصين يقتربان من جهتين متقابلتين، كان أحدهما شابًا والآخر فتاة، وكانت ثيابه أفضل من ثيابها. كان يرتدي حذاء.

بدا كل منهما متخفيًا. أعرف هذه النظرة، النظرات إلى الوراء، التوقف والمتابعة، لأنني كنت أنا نفسي متخفية على نحو استثنائي. فجثمت عند أغصان العليق لأراقبهما. كانا قد التقيا وتعانقا ثم سقطا على الأرض، كانت تصدر منهما أصوات مواء وزمجرة

وصيحات قليلة. ربما كانا يعانيان نوبة، كلاهما في وقت واحد. ربما كانا...أوه، في النهاية مخلوقات مثلي. زحفت أقرب لأرى بشكل أفضل، لم يكونا يشبهاني، فلم يكونا مشعرين مثلًا عدا رأسيهما، ويمكنني قول ذلك لأنهما خلعا معظم ثيابهما، لكنني استغرقت وقتًا لأصبح ما أنا عليه، لا بد أنهما في المراحل الأولى، خطر لي. إنهما يعرفان أنهما يتغيران، وقد بحثا عن بعضهما بعضًا ليكونا معًا وليتشاركا نوباتهما.

كان يبدو أنهما يحصلان على متعتهما بضرب بعضهما بعضًا، حتى لو عض أحدهما الآخر مرات. كنت أعرف كيف يحدث ذلك، يا له من عزاء لي إن كنت أستطيع الانضمام إليهما! لقد أصبحت قاسية بمرور السنين بفعل الوحدة، لكن هذه القسوة قد ذابت الآن، ورغم ذلك كنت خائفة من الاقتراب منهما.

ذات مساء غط الشاب في النوم، فدثرته الفتاة بقميصه الملقى وقبلت جبينه ثم مضت بحذر.

نزعت نفسي من أغصان العليق واقتربت منه بهدوء. ها هو نائم في حلقة من العشب المسحوق، كما لو كان مستلقيًا على طبق. يؤسفني القول إنني فقدت السيطرة، وقد وضعت يدي ذات الأظافر الحمراء عليه، وعضضته من عنقه، هل كانت تلك نشوة أو جوعًا؟ وهل يمكنني أن أعرف الفرق؟ استيقظ ورأى أسناني الوردية وعينيّ الصفراوين، ورأى ثوبي الأسود يخفق ورآني أفر بعيدًا، ورأى إلى أين.

أخبر الآخرين في القرية، وبدأوا بالتفكير. لقد أخرجوا تابوتي ووجدوه فارغًا وخافوا من الأسوأ. أخذوا يسيرون باتجاه هذا المنزل في العتمة حاملين أوتادًا طويلة ومشاعل. كان بينهم أختي وزوجها والشاب الذي قبّلته، لقد أردتها أن تكون قبلة.

ماذا أقول لهم، كيف أشرح؟ عندما يُبحث عن الشيطان سيُعثر دومًا على أحدهم ليؤدي الدور، وسواء تقدمت للأمام أو دفعت لفعل ذلك سيكون الأمر سيان في النهاية. "أنا إنسان"، كنت أستطيع قول ذلك لكن ما الدليل الذي سيثبت ذلك؟ "إنني مسخ! خذوني إلى المدينة! يجب دراسة حالتي!" لا أمل هناك. أخشى أن ذلك سيكون خبرًا سيئًا للقط، إذ مهما كان ما سيفعلونه بي فسيفعلونه به أيضًا.

إني ذات طبيعة متسامحة، وأعرف أنهم يضمرون نوايا حسنة في قلوبهم. ارتديت ثوبي الأبيض العرائسي، وطرحتي على نحو يلائم عذراء. لا بد للمرء أن يتمتع بحس تقدير للمناسبة. أصبحت الأصوات المرتعشة عالية جدًا، لقد حان الوقت لأطير، وسأسقط من السطح المحترق مثل مذنّب، وسأتوهج مثل مشعل. يتعين عليهم تلاوة الكثير من التعويذات على رمادي ليتأكدوا أنني ميتة حقًا هذه المرة، وسأصبح بعد وقت قديسة منكسة، وستباع عظام أصابعي في متاجر السحر الأسود، سأصبح أسطورة عندئذ.

ربما سأبدو كالملاك في الجنة، أو ربما ستبدو الملائكة مثلي، ستكون مفاجأة عظيمة للآخرين! إنه أمر يستحق الانتظار.

آندريس نيومان (1977)

كاتب إسباني أرجنتيني، ولد في بوينس آيرس ثم انتقل لاحقًا للعيش في إسبانيا، ويعمل أستاذًا لأدب أمريكا اللاتينية. اختارته مجلة "غرانتا Granta" أفضل الكتاب الشباب باللغة الإسبانية. نشر له العدد من الروايات والمجموعات الشعرية والقصصية، وحصل على جائزة "هيبريون Hiperion" للشعر عام 2002، وحصلت روايته "مسافر عبر القرون" على جائزة "ناشيونال كريتكس National Critics Prize" عام 2009، ووصلت إلى القائمة القصيرة للبوكر أيضًا.

قال عنه روبرتو بولانو: "لن يعجز القارئ الجيد في أن يستشف في أدبه شيئًا يعثر عليه في الأدب العظيم فقط، شيئًا يكتبه شعراء حقيقيون".

دليل براءة

نعم، أحب استجواب الشرطة لي. نحن جميعًا بحاجة أن يتثبتوا من براءتنا ليؤكدوا لنا أننا قمنا بواجباتنا، وأننا نستطيع المضي قدمًا. لهذا أحب أن أشعر أنني فوق الشبهات وأن أظهر أخلاقي الرفيعة، مقنعًا إياهم أنني لست الفاعل.

يقود المرء سيارته دون التفكير في ذلك، تاركًا نفسه يمضي كما يمضي الآخرون في الحياة. أجد السلام في انصياع عجلة القيادة وتلقائية المكابح وتنفس ناقل الحركة، وأثناء إدارتي لها، أو بالأحرى سماحي لها بإدارة نفسها أفكر بالشرطة؛ متى سيقومون بإيقافي مرة أخرى للتثبت من أنني، نعم، على جادة الصواب وأنني مواطن صالح، آه! الطريق الواسع المفتوح.

أشار إليّ فجأة رجلا شرطة للتوقف جانبًا، ولم تكن هذه بالمناورة السهلة لأنني اتجهت لتوي إلى المسار الأيسر قادمًا من المنعطف. أحاول تفادي القيام بحركة مفاجئة تربك السائقين حولي، فاستعرضت مهاراتي في القيادة —علي الاعتراف بذلك– وانزلقت إلى المسار الأيمن، ثم توقفت بهدوء على جانب الطريق. حاكى الشرطيان مناورتي وقد أمالا دراجتيهما الناريتين جانبًا عندما توقفا. كان كل منهما يرتدي خوذة ذات مربعات باللونين الأبيض والأزرق، وحذاء يطرق على الرصيف بقوة، وكلاهما يحمل

سلاحًا. كان أحدهما عريض الخصر ويمشي بتثاقل والآخر طويلًا يسير محدودبًا.

"رخصة القيادة ودفتر التسجيل"، قال البدين.

"بالتأكيد، حالًا" أجبت.

"آها"، قال الطويل وهو يتفحص وثائقي.

"نعم.."، سألت باهتمام و حماس.

"آها"، أكد البدين بحيوية.

"إذن....؟"

"نعم، كل شيء سليم."

"كل شيء حسب النظام إذن؟"

"كما قلت للتو يا سيدي، كل شيء على ما يرام."

"بعبارة أخرى، هل هناك أي مخالفات في أوراقي؟"

"مخالفات؟ ماذا تعني؟"

"آه، حسن أيها الشرطي، إنني أتساءل فقط. أفهم إذن أو هل علي القول إنك ترى أنه ليس هنالك سبب يمنعني من الذهاب".

ينظر الشرطيان إلى بعضهما بعضًا بشيء من الريبة في عيونهما، يمكنني رؤية ذلك.

"ستتحرك عندما نقول لك"، قال البدين.

"طبعًا"، أجبته على الفور، "طبعًا."

""حسن، إذن....

بدا أنهما مرتابان.

"نعم...أريد مساعدتكما. ربماكان لديكما أسئلة أخرى توجهانها لي، أو ربما تودان إلقاء نظرة على الصندوق".

"اسمعني"، قال البدين، "لا تملِ علينا ما نفعله."

رفع الطويل رأسه مثل سلحفاة تتأمل الشمس للمرة الأولى، ووضع يده على ذراع شريكه محاولًا تهدئته.

"وأنت، اتركني"، قال البدين، "أو هل سنفتش ما قاله هذا الرجل؟"

"حتمًا أيها الشرطي، حتمًا"، تدخلت، " من الواضح أن كليكما يعرف تمامًا ما يتعين عليه فعله، وآخر ما أود فعله هو...."

"آخر شيء مم؟ ما الذي ترمي إليه؟"

"لا شيء أيها الشرطي، لا شيء. أنا فقط أحاول أن أكون متعاونًا."

"حسن، لا تفعل، ليس ذلك ضروريًا."

"كما تحب أيها الشرطي."

"هذا أفضل"، قال البدين مسرورًا.

"كما تشاء"، أضفت.

"حسن، حسن."

"افعل ما تراه مناسبًا للوضع. أنا لست في عجلة من أمري لذا يمكنك أن تهدأ."

"نحن هادئان، نحن كذلك دومًا. عليك أن تتأكد من ذلك."

"طبعًا ليس لدي شك أبدًا."

نظر البدين إلى الطويل وظل الطويل صامتًا برأسه المتدلي.

"هل تمزح؟"، سأل البدين.

"أنا أيها الشرطي؟"

"لا، جدتي الكسيحة."

"رائع أيها الشرطي! أحيي فيك روح الدعابة."

"استدر"، أمر البدين بفظاظة.

"لماذا أيها الشرطي؟"

"قلت لك استدر"، وحينئذٍ قال مخاطبًا الطويل "لا يعجبني هذا

الرجل مطلقًا"

"أؤكد لكما أيها الشرطيان أنني أتفهم الوضع تمامًا"، قلت بشيء من التوتر، "أعرف أنكما تحاولان حمايتنا وأدرك أن ذلك يتطلب منكما تفتيشي".

"ضع يديك على السيارة."

"نعم أيها الشرطي."

"وباعد بين ساقيك."

"نعم أيها الشرطي."

"واخرس."

"نعم أيها الشرطي."

ركلني البدين – السريع الغضب كما يبدو- بركبته على أضلاعي بقوة، فشعرت بحلقة من نار تشتعل بداخلي

."قلت لك أن تخرس أيها الأبله"

قاما بتفتيشي ثم ابتعد الشرطيان عني أمتارًا قليلة. كانا يتحدثان وكنت ألتقط عبارة من هنا وهناك. بدأ هيكل السيارة يحرق راحتي يديّ، وأشعة الشمس تطعنني مثل الرماح.

"ماذا ترى؟"، سمعت البدين يقول، "هل علينا تفتيش الصندوق؟"

لم أتمكن من سماع جواب الطويل، لكني استنتجت أنه رد بالإيجاب، لأنني رأيت بطرف عيني البدين يفتح الصندوق ويفتشه بفظاظة. رمى حقيبة ظهري على الأرض، وصندوق الأدوات أيضًا وأضواء التحذير الخاصة بي وكرة القدم التي أخذت تقفز على الطريق السريع. لقد أدى الشرطيان واجبهما بإتقان شديد.

"لا شيء هناك"، قال البدين بشيء من الضيق، "هل علينا تفتيش الداخل؟"

دخل كلاهما السيارة على الفور، وفتشا المقاعد والتنجيد وصندوق القفازات والمنفضة. لقد أحدثا فوضى في الداخل. وتجرأت للمرة الأولى على التدخل باعتراض خجول:

"اعذراني أيها الشرطيان، ولكن هل هذا التفتيش ضروري؟"

خرج البدين من السيارة ونظر إلي ثم لكزني بعصاه بين كتفيّ، وقد شعرت لوهلة أنني أطفو ثم جثوت على ركبتيّ.

"ما الذي ستقوله الآن؟ ما الذي لديك لتقوله؟"، نبح البدين في أذني.

"أؤكد لك أيها الشرطي"، تلعثمت، "ليس لدي ما أخفيه."

"أوه، لا."

"لا."

"لا؟"

"قلت لا"

"لا تجبني بوقاحة إذن"، صرخ البدين وقد ركلني بشدة على ردفي.

"أعرف الأوغاد من أمثالك: لدي حاسة سادسة لم تخيبني أبدًا، إنك تتظاهر بالصلاح لكنك لست سوى محتال".

"أؤكد لك بصدق أيها الشرطي...."

"اخرس يا ابن العاهرة"، صرخ البدين ثانية دون أن يضربني هذه المرة.

تابعت السيارات مرورها بنا سريعًا كالريح، وكان الطويل يتابع تفتيش سيارتي بصمت طوال الوقت.

"آها"، هتف الطويل فجأة بحماس. بدا صوته أعلى من المعتاد على نحو غريب بالنسبة لي. "انظر إلى هذا"، قال معطيًا شريكه الحقيبة التي أضع فيها الفواتير الشهرية للشركة.

"أين وجدتها؟"

"تحت المقعد الجانبي."

"ماذا يوجد بداخلها؟ افتحها. ألا تستطيع؟ أعطها لي. لا بد أن لها أرقامًا سرية"، وبعد أن حاول فتحها بالقوة صاح بي "كما قلت. هل تظن نفسك ذكيًا؟"

كنت سأخبره بالأرقام بكل سرور، فليس بداخلها سوى وثائق اعتيادية للحسابات، لكني كنت مذعورًا جدًا في تلك اللحظة ولم أنطق بشيء.

"دعنا نلقي القبض عليه"، اقترح الطويل، "سنفتح الحقيبة في المخفر."

أخذ البدين يضع الأصفاد في يديّ ببطء.

"أيها الشرطيان، إنكما ترتكبان خطأ"، قلت بيأس " ليس لدي سجل سابق، وأنا لم أرتكب جرمًا، أنا مسالم، أنا كأي شخص آخر".

"متأكدون من ذلك أيها الذكي"، قال الطويل.

أجبراني على الجلوس في المقعد الخلفي لسيارتي وظلا خارجها يحاولان الاتصال بشخص ما عبر الراديو. أخذ كتفاي يؤلماني وأصبت بالصداع أيضًا، وهناك إحساس حارق في أضلاعي. سمعت صوتًا ثاقبًا من الراديو، لم يعجبني ذلك على الإطلاق. تابعت السيارات مرورها سريعًا كالرياح. لست متأكدًا إن كان علي قول شيء ما، عندما سمعت صوت كرتي تنفجر بعيدًا.

هرنان لارا زافالا (1946)

روائي مكسيكي، يعمل في جامعة المكسيك الوطنية المستقلة. حصل على جائزة "خوسيه فوينتس ماريس Jose Fuentus Mares National Prize " عام 1995، وجائزة الأكاديمية الملكية للغة الإسبانية عام 2010.

يقول زافالا: "أعتقد أن أولئك الصحفيين القادرين على الكتابة كالروائيين هم من منح الأدب حياة حقيقية، وأن تكتب عن شيء حقيقي يظهر شيئًا من عالمك الداخلي، خير لك من كتابة رواية ضحلة".

صيد الإغوانة[1]

كنا نذهب في تلك الأيام إلى البراري للصيد. لقد جئت من المدينة لقضاء العطلة مع جديّ في زيتيلشين، وقد صار عندي بعض الأصدقاء، شيدرا من التل المنخفض في جنوب البلدة الذي كان نصف مايا، ذهب أولًا لاستدعاء كريسبين. حين وصل إلى منزله صفر له طويلًا فخرج كريسبين، قصير متوتر وماهر، ثم جاءا لاصطحابي، وقد جمعا في طريقهما بعض الحجارة التي سنستخدمها. لقد كانت حجارة مميزة مدورة تقريبًا تقعقع في جيوبنا أثناء سيرنا.

عندما وصلا مزرعتنا صفر شيدرا ثانية، وخرج جدي إلى الباب ليفتح لهم. كان شيدرا يعيش في البراري ولم يتناول طعامًا، لكن كريسبين لم يكن كذلك، فقد كان يعيش على بعد بضعة شوارع من مزرعتنا وكنت أعرف أنه قد تناول إفطارًا جيدًا. ورغم ذلك، قبل كلاهما الشوكولاته الساخنة واللفائف التي قدمتها جدتي لهما. أثناء تناولنا للطعام، كان جدي الطويل المحدودب يداعبنا كثيرًا كعادته، وخاصة كريسبين؛ لقد كان العجوز مغرمًا به واعتاد أن يناديه "دون كريسبين" وكان يقترح عليه بين الحين والآخر أعمالًا استوحاها من قوامه الضئيل وشخصيته المطواعة. لقد

1- الإغوانة حيوان زاحف كبير من فصيلة السحليات العاشبة، تنتشر في المناطق الاستوائية في أمريكا الوسطى.

سأله مرة: "ما رأيك بالانضمام إلى الجيش حين تكبر؟ سيكون طولك في صالحك تمامًا". كان كريسبين يرد بابتسامة صالحة مظهرًا العجين بين أسنانه. كان شيدرا أثناء ذلك يأكل بنهم شارد الذهن. نادرًا ما كان جدي يوجه الحديث إليه. أذكر، مع ذلك، واحدة من ملاحظاته حول شيدرا، فقد كان يتحدث إلى كريسبين بإسهاب عن مواعظ بادر جارسيا الروحية، "لا" قال، "إنك مؤهل لكل أنواع الأعمال باستثناء الكاهن، إنك من هذا العالم كثيرًا، سأفكر بأحد آخر لهذا... شيدرا مثلًا". لا أستطيع تذكر ردة فعل شيدرا.

كنا دومًا ننطلق متأخرين أكثر مما توقعنا، وكان جدي يسير معنا إلى الباب ويراقبنا ونحن نغادر، كان شيدرا –الأطول بيننا– ما يزال يرتدي السروال القصير الخاص بأخيه الأكبر، وكريسبين –أقصرنا– يرتدي سروالًا طويلًا، وكان كلاهما يطلق كل أنواع النكات على طول الطريق.

رغم أننا نوينا صيد الإغوانة إلا أن عصبتنا كانت تبحث عن كل شيء تقريبًا، كنا نمضي الوقت في غزواتنا في البحث عن الأغصان التي لها شكل V لنصنع منها مقلاعًا، أو في سرقة قطع من أقراص العسل من المعاسل المتروكة في الحقول. كثيرًا ما كنا نتسلق سور أحد البساتين أثناء خروجنا من البلدة لنسرق البرتقال أو لنسبح في الحوض. في أوقات كهذه كنت أعود إلى المنزل لتناول العشاء حاملًا سروالي الداخلي الرطب بيدي، وكانت

جدتي تقول حين تراني:"هل كنت تسبح في حوض توماس ثانية؟ ستقع في ورطة كبيرة إن اكتشف ذلك يومًا، وعندها لن يكون هنالك جدوى من اللجوء إليّ".

كانت المرات التي خرجنا فيها للصيد كثيرة، ولكن لا بد من القول إن الإغوانة لم تكن فريسة سهلة. كنا نصطاد واحدة أحيانًا -- نبيعها فيما بعد إلى شخص مشهور بأكلها في البلدة- لكن ألوانها الطبيعية ساعدتها كثيرًا. كنا نصطاد طيور القمري والعظاءات، وفي مرة اصطدنا مدرعًا (حيوان الأرماديلو) جذبه شيدرا من ذيله. حين نصبح وحدنا نطلق الحجارة هنا وهناك لأدنى حركة في الأحراش، لم يكن شيدرا -- الذي يظل صامتًا ومتحفظًا دومًا في حضور الراشدين- يستطيع كبح نفسه أكثر، فيبدأ بإخبارنا بالحوادث الغريبة، حسب قوله، التي مر بها في طريق عودته إلى المنزل. وكانت هذه الحكايات تثير غضب كريسبين وازدراءه دومًا. تحدث شيدرا مثلًا عن بعد ظهيرة يوم عندما رأى قطيعًا من الفيلة في طريق عودته إلى المنزل.

"صرخت لطلب المساعدة ولكن لم يأت أحد...".

"حدث هذا عندما شربت القهوة لأول مرة في حياتك اللعينة، لا أعرف عدد أكواب القهوة التي شربتها لكنها أصابتك بالجنون"، قال كريسبين منزعجًا.

لم يتأثر شيدرا رغم ذلك، فقد أخبرنا أنه أثناء عودته إلى المنزل عند منتصف الليل أحيانًا كان يسمع أحدهم يصفر: "بسسست... بسسسست..." لكنه لم يجرؤ أبدًا على أن يدير ظهره ليرى من كان ذلك، لأنه كان متأكدًا أنها شتاهباهي[1] المرأة الشريرة في أساطير المايا. لقد شرح لنا أن أولئك الذين يستديرون لرؤيتها لا يستطيعون مقاومة نداءاتها لأن جمالها لا يقاوم بغض النظر عن أقدامها، وأنها كانت تختبئ خلف جذع شجرة، وأن أولئك الذين يستجيبون لإغوائها كانوا يستيقظون الصباح التالي بأجساد مغطاة بالشوك.

كنا نعرف الأسطورة بالطبع، لكن عندما تحدث عنها شيدرا كان مقنعًا بحيث أن كل فتى في البلدة —عدا كريسبين- كان يصغي إليه مفتونًا. أخبرنا عن كهف في البرية يقود مباشرة إلى الجحيم، وأخبرنا عن هندي متجول يدعى تزينتزينتو وكان محكومًا عليه بالتجول في البراري بلا نهاية.

في واحد من هذه الصباحات أخبرنا شيدرا أنه بينما كان عائدًا من المخيم الذي يعمل فيه والده باستخراج الصمغ، كان قد رأى امرأة ذات شعر طويل عارية تستحم في بركة عميقة، فقال كريسبين بين الجد والهزل:

"ستخبرنا طبعًا أنها كانت شتاهباهي."

1- تعني حرفيًا الأنثى في لغة المايا، كما تشير إلى شيطان يشاع في أمريكا الوسطى أنها تغوي وتقتل.

"لا أدري"، أجاب شيدرا، "كان للمرأة التي رأيتها في البركة القدمان الأكثر بياضًا قد سبق لي رؤيتها قبلًا، وكان لها شعر ذهبي طويل".

"إنه كاذب."

"كلا، لست كذلك"، قال شيدرا مصلبًا ومقبلًا إبهامه.

"متى كان ذلك؟"، سألته.

"بعد ظهيرة البارحة."

"من غير المحتمل أن تظهر شتاهباهي في هذا الوقت."

"سنهزمه الآن"، قال كريسبين، "أثبت ذلك."

"لك ذلك، لكن من الأفضل إخبارك أنه طريق طويل."

"إنه خائف"، قال كريسبين.

"لنذهب"، أجاب شيدرا، "إن كنتما ترغبان بذلك."

كان شيدرا يعرف المنطقة جيدًا، ليس لأنه كان يعيش في البراري فحسب، بل بسبب عمل والده أيضًا. فقد تولى شيدرا أمر حمل الطعام والاحتياجات الأخرى لأبيه بين الحين والآخر. لقد صار هو المرشد في البرية. غادرنا البلدة، ومررنا بالبساتين والمعاسل، توغلنا في البرية، وكنا نفرق الشجيرات الصغيرة بصعوبة ونسحق الحشائش، و كان شيدرا الواثق من قدراته يحرك رأسه بتوتر مثل حيوان بري يلاحق رائحة طازجة.

كان ثمة شيء غريب حول الأمر بأكمله. كان النهار في زيتيلشين عادة حارًا وصافيًا، لكن ذلك النهار كان رطبًا ورماديًا. وحين وصلنا إلى الجزء الأكثف والأكثر تشابكًا من الأحراش، وصادفنا فجأة بعض الآثار القديمة. كنا كريسبين وأنا مذهولين. لقد كانت قرية مهجورة لسكان المايا، لكنها كانت عامرة بحيث بدت مأهولة بالسكان. كنا صامتين ننظر حولنا برهبة. قال شيدرا لاحقًا "من هذا الطريق، لقد كدنا نصل". نظر إلي كريسبين، وكنت أشعر أنه كان —مثلي أنا- خائفًا ومبهورًا أيضًا.

تقدم شيدرا إلى الأمام ثانية، مبعدًا الأجمة التي كانت تسد طريقنا. لم يفكر أحدنا بالإغوانة، فقد كان اهتمامنا الأوحد هو اكتشاف حقيقة حكاية شيدرا. وصلنا أخيرًا إلى حافة بركة كبيرة، لقد كانت خضراء شفافة ومياهها هادئة وساكنة على نحو غير عادي. لم يكن هنالك أحد، ووجدنا ساحة خالية، فاختبأنا خلف بعض أشجار الأيك لنحاول الاتفاق على ما سنفعله. ربما لم يكن هنالك أحد مطلقًا في الجوار إلا في خيال شيدرا، وأراد كريسبين العودة إلى البلدة مرددًا باستمرار أن شيدرا كان كاذبًا، كاذبًا لعينًا. وتجادلا طويلًا وكانا على وشك البدء في شجار عندما رأيت أحدهم يتحرك على الطرف الآخر من البركة، فصمتنا سريعًا وقد انتابنا الفضول لرؤية من كان، فظهر رجل ذو لحية. كنا نستطيع رؤيته بوضوح، كان يغطي جسده بالأغصان وقد ارتدى نظارة وكان يدخن الغليون. كان يحمل

قدرًا وحين وصل إلى حافة البركة وضع بعض التراب في القدر وغطسه في الماء ثم أفرغه بعد بضع دقائق. كان على وشك الرحيل حين ظهرت امرأة تغطي جسدها مثله، وقد جلبت بضع قدور أخر لتغسلها، لم نكن نسمع ما يقولانه.

"ها هي" قال شيدرا بهمس.

لقد كان الأمر حقيقيًا، فقد بدت كما وصفها شيدرا تمامًا؛ امرأة شقراء طويلة. لقد رأيناهما لدقائق قليلة فقط، فقد غادرا البركة حينما فرغا من الغسيل، ومكثنا نحن، وما زلنا ننتظر عندما كسر كريسبين صمتنا، فقد نهض قائلًا "اللعنة! لقد أصبت بحكة فظيعة، ما سببها بحق الجحيم؟" رفع قميصه ليرينا ظهره.

"قراد"، قال شيدرا.

قال كريسبين وهو يخلع قميصه "لا بد أنها تغطي أجسادنا أيضًا"، قال لي شيدرا وهو ينظر إلى كاحله و يحك وقد نهض ليخلع قميصه، وفعلت مثلهما. لقد خلعنا ثيابنا لنزيل القراد منها. لقد وصل القراد إلى إبط شيدرا مشتبكًا بالشعر الناعم، لقد كانت تغطينا. كنا ما نزال عراة حين بدأ شيدرا الحديث عن المرأة التي رأيناها منذ قليل، مفعمًا بحقيقة أن ذلك أثبت صدقه. لقد أخبرنا ثانية كيف أنه بينما كان يتجول حول أشجار الأيك البارحة كان قد رأى امرأة بيضاء شقراء طويلة تستحم في البركة. لقد وصفها بدقة، فقد رآها هنا بكاملها، أنثى عارية.

إلهة تقريبًا، لقد كان منتشيًا. لاحظت – مأخوذًا بوصف شيدرا– أننا كنا نحن الثلاثة نعيش الإحساس نفسه.

عدنا إلى زيتيليشين بعد حلول الظلام بأجساد متعبة يغطيها القراد. وصلنا إلى مزرعة جدي، فلوحت لكريسبين وشيدرا مودعًا. كان جفناي ثقيلين، وقد سار صديقاي إلى الشارع. كنت أفكر بالمرأة الشقراء، وكنت أشعر بالقراد على جسدي كله، مثل أشواك. كنت منهكًا لكن ما يزال أمام شيدرا طريق طويل ليقطعه. حين دخلت المنزل ذهبت من فوري لرؤية جدتي.

"القراد يغطيني"، قلت "ساعديني في التخلص منه."

"لا بأس في قرادات قليلة؟"، أجابتني، "إنها ليست عناكب الأرملة السوداء. تعال إذن واخلع ثيابك كلها واستلق في سريرك ريثما أسخن لك بعض الشمع".

كانت تمسد جسدي كله بالشمع الساخن وسمعتها تسأل:

"حبًا بالله، هنالك الآلاف منها، أين كنت؟"

"رأينا اليوم شتاهباهي"، أجبتها مسرورًا.

بيتينا جاباه (1971)

كاتبة من زمبابوي، تكتب باللغتين الإنجليزية ولغتها الأم "الشونا". وصلت مجموعتها القصصية "مرثية للشرق An Elegy For Easterly" إلى القائمة القصيرة لجائزة "فرانك أوكونور Frank O'Connor International Prize" عام 2009.

تقول إنها كتبت مجموعتها "مرثية للشرق" بعد أن شعرت بالغضب واليأس لرؤية البلد ينهار دون أن تستطيع فعل شيء، وحين قيل لها إنها تعد كاتبة زمبابوية أصلية ردت ساخرة: "إنها واحدة من أكثر الكلمات بغضًا إلي، فعن أي أصل تتحدثون إن كانت البلاد نفسها متعددة؟"

الآنسة ماكونكي من بريجووتر كلوز

كانت الآنسة ماكونكي تبدو نشيطة وضعيفة في الآن نفسه حين رأيتها البارحة، مثل تقاطع بين دوريس ليسينج والقتيلة المسكينة كورا لانسكوينيت[1]. كانت تقف في الصف أمام المحاسب الوحيد في متجر أوكي الذي حل محل مركز بون مارشيه للتسوق في مابلراين. كانت ترفع رأسها كما تفعل دومًا مميلة إياه نحو اليسار قليلًا، وقد لفت شعرها، الذي أصبح أبيض بالكامل، على شكل كعكة في أعلى رأسها. كان شعرها يذكرني، حين كنت فتاة صغيرة، بالآنسة دوبون في سلسلة مالوري تاورز، وليس الآنسة روجير[2] التي كانت نحيلة ونزقة ولا تتمتع بحس الفكاهة، بل بالآنسة دوبون التي كانت ممتلئة ومرحة. لم تلمع عيناها خلف نظارتها المدوّرة، على عكس عيني الآنسة دوبون اللتين لم تهدأ لحظة وكانتا براقتين لامعتين خلف نظارتها. وكنت أستطيع التعرف عليها في أي مكان رغم مرور الوقت الطويل، كما يمكن أن تحسب على ثمانية أصابع عدد الأشخاص البيض الباقين في مابلراين، من سينتوسا إلى بلف هيل، ومن مايريك بارك إلى كوتسوولد هيلز.

1- شخصية من رواية أجاثا كريستي "بعد الجنازة".

2- مالوري تاورز سلسلة قصصية للأطفال، والآنستان دوبون وروجير هما شخصيتان في السلسلة.

لقد استغرقت وقتًا طويلًا لوضع أغراضها على المنضدة؛ سكر ومعكرونة وطماطم مهروسة وحزمة من البصل وعلبتي حليب مكثف وعصير مازوي بنكهة البرتقال، رغيف خبز وصندوق بيض وسبع علب من الشمع وثلاث علب من طعام إيرفين شيك للحيوانات الأليفة. "سيكون المجموع خمسة وسبعون مليارًا وثلاثمئة مليون وستمئة ألف دولار"، قال المحاسب.

أخرجت أربع رزم من الأوراق النقدية، وأخرجت بضعًا من واحدة ثم سلمته البقية، فأزال المحاسب المطاط عن الرزم، ووضع المال في العدادة.

حين توقف صوت الطنين وأضاء الزر الأحمر ليحدد المبلغ، قال المحاسب: " ينقص بخمسمئة مليون".

"لا يمكن"، قالت الآنسة ماكونكي، "لا بد أن آلتك معطلة، لقد جئت لتوي من المصرف."

عد المحاسب المال موزعًا الأوراق النقدية في كومات صغيرة من المليارات والملايين على المنضدة، وقد بدأ المتسوقون الذين يحملون أغراضهم – معظمها من علب من الشموع التي أشيع أنها لا تتوافر إلا في أوكي في مابلراين- يهمهمون بتذمر. استمرت عملية الحساب، ولم تكن الآلة معطلة.

"هل لديك ما يكفي؟" قال المحاسب.

"ماذا؟"، قالت الآنسة ماكونكي.

عبس المحاسب وتنهد وقال: "مال، هل لديك ما يكفي من المال؟"

"مال أكثر؟"، قالت الآنسة ماكونكي.

"عفوًا؟"، قال المحاسب.

"مال أكثر، ليس ما يكفي، هل لديك مال أكثر؟"

"هل لديك مال أكثر؟"، كرر المحاسب بصوت عالٍ.

"لا حاجة للصراخ هكذا"، قالت الآنسة ماكونكي،"انتظر."

أخذت تبحث في حقيبتها عن الأوراق النقدية التي أخرجتها، لكن هذه إلى جانب الأخرى لم تبلغ خمسة وسبعين مليارًا وثلاثمئة مليون وستمئة ألف دولارًا.

"ربما تستطيعين العودة إلى المصرف والاستفسار عن ذلك"، اقترح المحاسب.

"إنه مغلق الآن، أليس كذلك؟"، قالت الآنسة ماكونكي "ثم ما الفائدة؟"

"يمكننا أن نعيد بعض الأغراض"، قال المحاسب.

فحملت طعام الحيوانات الأليفة.

"سأرى، شكرًا لك"، قالت الآنسة ماكونكي.

"ليس لديها مال"، قال صوت من خلفي.

تقدمت نحو الصندوق.

"أنا أعرفها"، قلت للمحاسب بلغة الشونا وبالإنجليزية، وقلت للأنسة ماكونكي "يسعدني أن أساعدك في الدفع لمشترياتك".

"لا، شكرًا لك"، قالت الآنسة ماكونكي دون أن تنظر إلي.

"آنسة ماكونكي"، قلت.

فنظرت إلي حينئذٍ.

"أنت تعيشين في بريجووتر كلوز"، قلت، "في المنزل رقم سبعة عشر، أعرف منزلك ويمكنني أن أمر لأخذ النقود لاحقًا".

تجاهلت الهمهمة القادمة من خلفي وتابعت "لقد كنت مديرتنا في مدرسة إتش إم إس الابتدائية". ثم أخبرتها باسمي، فبدت مذهولة، ولا عجب من ذلك فقد أخبرتها باسمي الحقيقي واسم مدرستي.

"طبعًا"، قالت "لقد كنت في كودو."

"لديك ذاكرة جيدة"، قلت.

أعطيتها المال لمشترياتها ودفعت لمشترياتي، وقد وافقت بعد إلحاح

أن أحمل أكياسها إلى سيارتها. كانت سيارتها تقف على الجانب الآخر من ميدان ستورتفورد مقابل السوق والكنيسة. كانت داتسون 120Y صفراء كما أذكرها، السيارة التي كانت تجعل قلبي يدق كلما رأيتها تمر قربي.

"لم أكن مديرة لفترة طويلة بعد دخولك المدرسة، أليس كذلك؟"

نظرت إليّ مباشرة، وكنت طفلة مرة أخرى واستبد الخوف القديم بقلبي، وخطر لي أنها تعرف ذلك حتمًا أنني كنت السبب في عدم وقوفها على المنصة في القاعة ثانية، متوسطة لوحتي الشرف وقد رد كل طلاب إتش إم إس الابتدائية، من الروضة وحتى الصف السابع/أزرق بصوت واحد قائلين "صباح الخير يا آنسة ماكونكي".

كنا دومًا من أوائل الأمور التي تشغل والدينا، لذا لم يكن من المفاجئ لأحد أن ينتقل والداي إلى كوتسوولد هيلز، حين كنت في السابعة من عمري، في السنة التي فتح فيها البيض الذين يحكمون بلادنا المناطق التي كانت مغلقة أمام السود.

عمل أبي في مصرف في البلدة، وكانت عائلتنا أول من امتلك سيارة في شارعنا، سيارة سيترون صفراء تسمى بامباداتيا في البلدة لأن لها شكل ضفدع رابض. كنت أول طفل ممن أعرف يستقل طائرة إلى شلالات فيكتوريا، ليس لرؤية الشلالات بل لرؤية أبي الذي عمل هناك مؤقتًا لستة أشهر.

كانت أمي تحتفظ بالتذاكر في ألبوم الصور بعد مرور سنوات على ذلك إلى جانب صورة لنا نقف فيها إلى جانب طائرة من طيران روديسيا. حين كان الزوار يطلبون رؤية الألبوم ويسألون عن التذاكر، كانت أمي –بصوت عملت جاهدة أن يبدو طبيعيًا– تجيب "أوه، هذه تذاكر طائرة من رحلتنا إلى شلالات فيك"، وكانت تحرص على تسميتها شلالات فيك لأن هذا ما قاله الطيار عندما هبطنا "مرحبًا بكم في شلالات فيك"، قال "في هذا اليوم المشرق المشمس"، ولم تدعها بأي اسم آخر بعد ذلك.

بعد رحلة الطيران بوقت قصير، ولكن بعد شرائه للسيارة بوقت طويل، انتقلنا إلى سبيسمن وإلى جلين نورا بي، لواحدة من الشقق الأنيقة التي تقع على بعد شارع من البلدة، حيث لم نكن أول من يمتلك سيارة، لكننا كنا أول من امتلك هاتفًا وتلفازًا. لم يكن أبي راضيًا بالسكن في البلدات الأفريقية، في مابر وهايفيلد، مابفوكو و جلين نورا، ولا أرضته الضواحي الأفريقية في ويستوود التي تبعد شارعًا عن كامبوزوما أو ماريمبا بارك على بعد عشر خطوات من موفاكوس. كان يصطحبنا أيام الأحد بعد الكنيسة في جولة طويلة في ساليسبري درايف ويشير إلى بورروديل و كوتسوولد هيلز ومارلبورو وماونت بليزانت وهايلاندز وأفونديل وبلف هيلز، أماكن كانت أسماؤها تستحضر حيوات رائعة كانت محجوبة عنا، لأن رئيس الوزراء تعهد ألا يحكم السود روديسيا ولا حتى بعد مرور ألف سنة.

انتقلنا في عام الاتفاق الداخلي[1]. كانت المنازل تقع في شوارع نظيفة وكان هناك أشجار وزهو وبساتين في كل مكان، وكان هناك أسيجة خضراء وبوابات منخفضة بلافتات رسم عليها ظل كلب ينبح على رجل إلى جانب الكلمات "احترس من الكلب" باللغتين الإنجليزية والشونا. كان بائعوا الحليب يضعون زجاجات الحليب ذات الأغطية الذهبية والفضية خارجًا دون أن يسرقها أحد. كنا نشاهد – في غرفة معيشتنا ذات المدفأة و والسجادة الملائمة بلونها البني المحمر- الإعلانات التلفزيونية عن زبدة سولو المناسبة للعائلة التي تحب الحياة، وعن حبوب الإفطار برو نوترو توازن الطبيعة، وصابون سنلايت لنظافة منعشة وفواحة. أقام والداي في عيد الميلاد ذاك حفلة لكل أقاربنا، ورقص أبي مع أمي بينما كان ديفيد سكوبي يغني "جيبسي جيرل". هتف المدعوون كلهم وحين ذهبت للنوم تلك الليلة كنت أعرف كلمات الأغنية كلها وقد تموجت نغمات الجوقة في أحلامي.

بدأت الذهاب إلى مدرستي الجديدة في يناير. كانت تدعى مدرسة هنري مورتون ستانلي الابتدائية لكن الجميع يدعوها إتش إم إس. التقيت بالآنسة ماكونكي في صباح يومي الأول التي قالت وهي تكتب اسمي "لا يمكنني نطق زفاميدا، أليس لها اسم آخر؟"

1- معاهدة بين رئيس الوزراء ومجموعة من الزعماء الوطنيين المعتدلين عام 1978.

وصادف أن لي اسمًا آخر، اسمي الثاني هستر على اسم أخت أبي المتوفاة، اسم أكرهه. كنت محظوظة كما أظن لأن لوسيا من الصف الثالث/أحمر لم يكن لها اسم آخر سوى شينوسيو، فاخترعت لها أمها اسمًا في مكتب الآنسة ماكونكي، وكانت تنسى اسمها الجديد أحيانًا فتقع في المتاعب.

لقد تركت زفاميدا خلفي في جلين نورا، وحلت هستر محلها، هستر التي كانت تفتقد المدرسة القديمة، حيث كانت تسمع أصوات الأطفال تردد بانسجام جدول الضرب للعدد 12 أو أغنية "نم يا صغيري، بنات آوى تغني بنعومة قرب النهر، عبر النهر المعتم حيث تصطف أعواد الذرة وتهتز تحت قمر فضي".

في مارس، استدعي كل الأطفال السود الخمسة الذين بدأوا الدراسة في اليوم نفسه إلى مكتب الآنسة ماكونكي، فقد عثر على كتاب لمفقود في حقيبة جاري –الذي كان اسمه جاريكاي في المنزل– من الصف الخامس/ أحمر. لقد اكتشفوا أن أحدنا كان سارقًا وكاذبًا، كما قالت لنا، وقد تحدثت طويلًا عن المبادئ، وحين نظرنا إلى أقدامنا بالطريقة التي تربى الأطفال الأفريقيون المحترمون بها ألا ينظروا إلى البالغين في أعينهم، تحدثت عن أهمية ألا يكون المرء محتالًا.

حددت سرقة جاري علاقتنا ببعضنا البعض. كنا نحن الخمسة – إلى أن انضم إلى المدرسة عدد أكبر من الأطفال السود لاحقًا–

مرتبطين ببعضنا بالحقيقة المرة للوننا، ولكن تفصلنا فجوات أكبر كالجنس والعمر، وفوق ذلك الحاجة الملحة لإظهار أننا لم نكن جميعًا متماثلين. لقد أردنا أصدقاء من البيض، لقد كانوا يملكون كل الأشياء الجميلة، وكان لديهم أشياء مختلفة في شطائرهم مثل صلصات الدهن والسجق والجبنة. كانوا يذهبون إلى جنوب أفريقيا في العطلات، ويجلبون حلوى سمارتيز من هناك، كانوا يعرفون كل النكات وما الذي سيحدث لك إن مررت بكنغر ومعك كرة خيوط، ما الذي كان أسود وأبيض وأحمر تمامًا، ما الذي قالته قطعة البسكويت بعد دهسها، ولماذا عبر الرجل ذو اليد الواحدة الشارع. في عيد الميلاد لم يكونوا يرتدون ثيابًا من متجر إدغار ذات علامة التخفيضات الحمراء كالتي يرتدونها إلى المدرسة في يوم الملابس العادية، كانوا يحصلون على كتب سنوية من المجلات المصورة مثل ميستي وجاكي وبينو وويزر وشيبس. كانوا يحصلون على مكعبات روبيك وألعاب اليويو والمونوبولي واللودو. كانوا يستطيعون حبس أنفاسهم تحت الماء في السباحة عرض الحوض مرتين، وأحيانًا مثل إيفان سميث للسباحة مرتين طولًا. كانوا يملكون عصيان هوكي ومضارب تنس ومضارب كريكيت خاصة بهم ولا يستخدمون القديمة البالية العائدة للمدرسة. كانت أمهاتهم تجلب لهم رقع الأسماء من باربوس ولم يكن يخطنها بأيدٍ مرتعشة، ولم تكن أجهزة المذياع الخاصة بآبائهم تقول كلامًا بلغة الشونا، أو إعلان جارزين مان للتسوق في متجر جارزين بأسعاره المعقولة.

الأطفال البيض الوحيدون الذين صادقونا كانوا من المستبعدين والمنبوذين، الأطفال الذين كان الجميع ينأى عن صحبتهم. لقد انسجم جاري مع كيث كالفرتون الذي كانت عائلته كبيرة بما يكفي لتكون أفريقية، والذي قيل إن كلبيه مسعوران، والذي يأتي إلى المدرسة غالبًا مرتديًا أحد سراويل أخيه الكبير القصيرة. بعد أن افتعلت أم إيان مافيت شجارًا في المدرسة لأن زوجها هرب ليعيش مع الآنسة أدامسون التي تدرس الصف الخامس/ أحمر، انتقل إيان مافيت من المحتقرين ليصبح صديقًا لفوساني، وحين أوقعت أنتونيا دي سوزا عصا التتابع وجعلت كودو يحل أخيرًا في سباق الفرق المدرسية لم يلعب معها أحد لأنها تجري مثل مشلولة (وإلى جانب ذلك، قالت ستيسي كولينز، لم تكن أوروبية، إنها برتغالية فحسب) كانت تتحدث معظم الوقت إلى لوسيا التي ساعدت إيلاند على أن يحل أولًا في السباق نفسه لكنها أعطيت الكأس المشترك بعد مرور وقت طويل حتى نسينا أنها كانت السبب في فوز إيلاند.

كانت صديقتي لارا، لارا فان توندر، الوحيدة التي كانت تدمن النكات، لارا البدينة التي بدأ الجميع بتسميتها بلابر[1] بعد أن أخبرتنا الآنسة كراوثر عن الحيتان. لقد كانت بدينة جدًا ولا تستطيع الجري أو السباحة وعندما تسير بسرعة يتحول نفسها

1- تعني الطبقة السميكة من الشحم تحت جلد الثدييات المائية.

سريعًا إلى شهقات صغيرة. كانت لارا تحب أن أمشط لها شعرها مئة مرة في ملعب المدرسة، وكانت تجعلني أعد في كل مرة، قالت " إذا سرحته بما يكفي، ثلاث مرات في اليوم على الأقل، فسيصبح ذهبيًا مثل شعر بولين فوسيل". لم أصدق ذلك فعلًا، لكني مشطته على أية حال لأن لارا لديها حوض في المنزل لا يمكنها أن تسبح فيه، فكانت تجلس وهي تهز ساقيها في الحوض بينما كنت أرش الماء وألتقط العملات من قاع الحوض، وقد كنت سعيدة لأننا كنا مثل داريل وماري لو في مالوري تاورز.

كانت الآنسة ماكونكي تسكن على بعد شارعين من منزلنا، في بريجووتر كلوز، وقد كانت تمر بي كثيرًا بسيارتها الداتسن 120.Y كنت أحرص على جعل كتفيّ مستقيمين حين أرى سيارتها أو حين أمشي قرب منزلها لأسلك طريقًا مختصرًا إلى المنزل. حين كنت أسير في بات بالمر ذات مرة دون حذاء مستمتعة بحرارة الشارع القاسية تحت قدمي، رأيت سيارتها واختبأت في حفرة حتى مرت.

كنت أراها كل يوم في المدرسة أثناء طابور الصباح، وكانت تقول حين ترانا نمشي في الممرات في جماعات: امشوا في صف واحد يا أولاد. حين اقتربت ليلة توزيع الجوائز في الفصل الثالث كنت أراها باستمرار. لقد كان تقليد مدرسيًا، كما قيل لنا، مدرسة إتش إم إس الابتدائية فيا لاحتفال بعثور إتش إم ستانلي على

ديفيد ليفينغستون[1]، كانت هناك قصيدة تتلوها المدرسة، قصيدة طويلة وخفيفة ذكر فيها ليفينغستون وستانلي، فقد تساءل الكثير من المهتمين في إنجلترا حول مصير ليفينغستون وصمم الكثير من مواطنيه الرقصات معددين أسماء الأماكن التي اكتشفها ليفينغستون.

كان النجم كيث تيمونز، قائد فريق روان. كان يلعب دور ستانلي مرتديًا قبعة مستكشف وقال بصوت عالٍ يشوبه القلق "أوه، أين د. ليفينغستون، د. ديفيد ليفينغستون الذي سافر إلى أفريقيا ليطأ الأراضي البكر؟" ثم ردد عشرون طفلًا، يفترض أنهم أهل إنجلترا: "لم تصلنا رسالة منه منذ زمن طويل، ربما سيكون من الأفضل إرسال السيد إتش إم ستانلي ليرى إن كان قد التُهم".

"وغنوا معي مرددين"، قال ستانلي، "بينما كان السكان الأصليون يمرحون". كان علينا نحن الخمسة –أعني الأطفال السود– أن نكون الجوقة ونغني بصوت عالٍ "نياسا وزامبيسي وكابانجو وكابومبو، شامبيس ويوجيجي وإلالا وديلولو وشابانجا وكاتانجا، دون أن ننسى بانجوويلو[2]!". كنا نرقص ونضرب بأقدامنا ونقرع طبولنا كما لو أن حياتنا متوقفة عليها، وقد أضفنا لوسيا وأنا قليلًا من الغُرب محاولتين أن نولول كما رأينا أمهاتنا يفعلن. "أحسنتم

1– ليفينغستون مستكشف اسكتلندي وكان أول من اكتشف شلالات فكتوريا وهو الذي أطلق عليها هذا الاسم، وستانلي هو الصحفي الذي ذهب للبحث عن ليفينغستون بعد انقطاع أخباره.

2– أسماء أماكن في أفريقيا.

يا أولاد" قالت الآنسة ماكونكي، لقد كنا أفضل مجموعة من السكان الأصليين شاهدتها المدرسة، كما قالت.

لقد كان عمي جيفت السبب في تغير كل شيء. كان قد شارك في القتال مع مجموعة "رفاق محاربي البيض"، وعاد بقليل من الصبر من أجل من أسماهم بالعناصر الرجعية المتمردة. كان يعمل في وزارة الشباب والعمل، وأخبر رئيسه عن قصيدتنا، فاتصل رئيسه بأحد ما في صحيفة هيرالد، وتصدرت الآنسة ماكونكي عناوين الأخبار ومن ثم لم تعد ناظرة للمدرسة، كانت هناك ناظر آخر، رجل ملون يدعى السيد مارشاند ولن يعمل المدرسون تحت إدارته لذا فإنهم سيعودون إلى جنوب أفريقيا، كما قال والداي. قال عمي جيفت إنه ليس هنالك مكان لأناس على هذه الشاكلة في البلاد، لكن أمي كانت قلقة حيال مغادرة المدرسين البيض لأنها كانت ترغب باكتسابي للكنة جيدة.

لم أستدعَ إلى مكتب الآنسة ماكونكي ثانية لأنه لم يعد لديها واحدًا. لقد ظلت تدرس التلاميذ بطيئي التعلم في صفوف التقوية، إلى أن لم يعد هناك مدرسون بيض في المدرسة والقليل فقط من التلاميذ البيض. لقد بت أخاف الآنسة ماكونكي كثيرًا لذا صرت أتجه إلى المنزل عبر الدرب الطويل، في شارع بات بالمر وفي كوتسوولد وتمكنت بذلك من تجنب بريجووتر لبقية حياتي في مدرسة إتش إم إس الابتدائية. كانت ما تزال تدرس صفوف التقوية حين انتقلت إلى المدرسة الثانوية، دون أن تعرف أبدًا

أنني أنا من غير حياتها للأبد، ولم أرها ثانية حتى البارحة عندما احتاجت إلى المال في متجر أوكي.

حملت أكياس مشترياتها ومشيت معها إلى سيارتها.

"تعيشين خارج البلاد إذن، أليس كذلك؟"، قالت.

"أعيش في أستراليا الآن يا آنسة ماكونكي"، قلت، "في ملبورن."

ظننتها ستقول شيئًا أكثر فانتظرت، لكنها لم تفعل حين دخلت سيارتها، أغلقت الباب وقالت "احرصي على أن تأتي لأخذ مالك".

"نعم يا آنسة ماكونكي"، قلت.

"انصرفي الآن"، قالت.

"إلى اللقاء يا آنسة ماكونكي"، قلت.

أدارت سيارتها دون أن تنبس بكلمة أخرى وقادتها عبر ميدان ستروتفورد عابرة بوليكلينيك التي كانت عيادة بيطرية و ويسكس درايف. راقبتها حتى انعطفت سيارتها يسارًا إلى هارير درايف، ساليسبري درايف القديم الذي كان أبي يصطحبنا بالسيارة إليه قبل وقت طويل، راقبتها إلى أن اختفت عن ناظري.

كولم تويبن (1955)

روائي وقاص إيرلندي، كتب في "ساانداي إندبندنت Sunday Independent" لعدة سنوات، وصل إلى القائمة القصيرة لجائزة البوكر لعدة مرات.

يعتبر هنري جيمس الروائي المفضل لديه على الأطلاق، كما يرى أن خافيار مارياس ودون ديليلو ومارلين روبنسون من أفضل الكتاب اليوم. يعد "هاملت" لشكسبير كتابًا تعلم منه الكثير، فقد أتاح له أن يرثي والده

يقول: "لو أتيح لي أن أكون شخصية روائية، كنت سأتمنى أن أكون ليوبولد بلوم في رواية "أوليسيس" لجيمس جويس، فقد أحببت الطريقة التي يراقب ويدون بها لأشياء".

عائلةٌ عقيمٌ

لقد عدت هنا. أستطيع النظر خارجًا لرؤية السماء الناعمة والخط الشاحب للأفق والهيئة التي يتغير بها البرق فوق البحر. إنه مطر غزير. يمكنني الجلوس على هذا الكرسي القديم الذي شحنته من متجر للخردوات في شارع السوق، وأراقب هدوء البحر مقابل السماء الضبابية.

لقد عدت هنا. كنت حريصًا طوال السنين على دفع فواتير الكهرباء وأن يبقى الهاتف موصولًا والمكان نظيفًا ومنفوضًا عنه الغبار. وكانت الجارة التي تعتني بكل هذه الأمور، ابنة ريتا، تفتح المنزل لساعي البريد أو ساعي شركة الشحن عندما أرسل كتبًا أو لوحات أو صورًا اشتريتها، عبر شركة فيدكس أحيانًا، كما لو أن وصولها كان أمرًا طارئًا، كما لم يكن وصولي كذلك.

كما لم آت سريعًا.

هذا الفضاء الذي أسير فيه الآن كان فضاء أحلامي، الصوت الرقيق للريح في أيام كهذا كان صوت أحلامي.

عليك أن تعلمي أنني عدت هنا.

لا بد من نفخ عجلات الدراجة الهوائية التي حصلت عليها مجانًا عند شراء الغسالة، وقد كانت تعمل كما لو أنني لم أرحل يومًا

على عكس الغسالة، كنت أستطيع بدء جولة أحلامي في أرجاء القرية، أسفل التلة باتجاه مقلع الرمال ثم أعبر ممشى الكرة مع كل المقطورات الجديدة والمنازل المتنقلة بعيدًا.

في نهاية رحلتي تلك، التقيت بزوجة أخيك في صباح يوم أحد، لا بد أنها أخبرتك. كان كلانا يتفحص الصف الكبير لصحف الأحد في المتجر في القرية ونتساءل أيها نشتري، فاستدارت والتقت عيوننا، لم أكن قد رأيتها منذ سنوات، بل لم أكن أعرف أنها وبيل ما يزالان يحتفظان بالمنزل، لا بد أن بيل أخبرك أنني هنا.

أو ربما ليس بعد.

ربما لم يرك بعد، ربما لا ينقل لك كل خبر فور معرفته به، لكن قريبًا، قريبًا لا بد أن تتحدثي مع بيل وسيخبرك حينها، من باب التأمل أو الفضول فقط، أو كخبر طازج ربما. خمني من رأيت؟ خمني من الذي عاد؟

أخبرت زوجة أخيك أنني عدت.

حين ذهبت لاحقًا إلى الشاطئ سالكًا الطريق القديم، طريق النزول القديم، حين كنت أتساءل إن كنت سأسبح أو أن الماء سيكون باردًا جدًا، رأيتهما قادمين باتجاهي، كانا يرتديان ثيابًا جميلة. لقد كبرت زوجة أخيك لكن بيل ما يزال نشيطًا وشابًا تقريبًا. صافحته ولم يكن هنالك شيء لقوله سوى الأمور المعتادة، ما تقوله عادة هنا؛ تنظر إلى البحر وتقول أن لا أحد يأتي هنا،

تقول كم كان المكان مقفرًا وكم هو رائع أن تكون هنا في يوم مشرق وعاصف من أيام يونيو/حزيران دون أن يكون هناك أحد على مد النظر، رغم كل السياحة والمنازل الجديدة والمال الذي يأتي ويذهب، لقد ظل هذا القطاع من الشاطئ سريًا.

كنت آتي هنا على مر السنين في لحظات غريبة فريدة، وقد تخيلت حدوث هذا، الأصوات التي نطلقها مقابل صوت الريح والأمواج.

ثم أخبرني بيل عن التلسكوب، وقال أنني حتمًا اشتريت واحدًا حين كنت في الولايات المتحدة، وقال إنها أرخص هنا، أرخص بكثير، وأخبرني عن الغرفة التي بناها بنافذة في السقف، والمنظر الذي تطل عليه وأنه لا يملك شيئًا هناك سوى كرسي وتلسكوب.

كنت قد أريتهما هذا المنزل كما تعرفين قبل سنوات، وكنت أعرف أنه تذكر هذه الغرفة، الغرفة الصغيرة الممتلئة بالمصابيح الصغيرة، مثل شيء على سفينة، حيث أجلس الآن. لدي منظار رخيص لأراقب الزوارق من روسلار والمنارة والقارب الشراعي الغريب. لا أستطيع العثور عليه الآن رغم أنني بحثت عنه حينما عدت، لكني كنت دومًا أرى أن التلسكوب سيكون غير عملي ويصعب استخدامه والعمل به كثيرًا، لكن بيل أخبرني أنه كان بسيطًا.

قال إن علي أن أمر به وأجربه بنفسي في أي وقت، لكنهما سيكونان هناك طوال اليوم. نظرت إلي زوجة أخيك باحتراس

كما لو أنني كنت محتاجًا إليها ثانية كما فعلت طوال تلك السنين الماضية، كما لو أنني سآتي لاستدعائها ليلًا مرة أخرى، كنت مترددًا.

"تعال واشرب كأسًا معنا"، قالت. كنت أعرف أنها تعني الأسبوع القادم، أو غيره، كنت أعرف أنها تريد أن تبدو بعيدة.

قلت لا لكني سأمر لرؤية التلسكوب لدقيقة فقط إن كان لا بأس بذلك، في وقت لاحق، التلسكوب فقط. كنت مهتمًا بالتلسكوب ولم أكترث إن كانت ترغب بقدومي ذلك اليوم أو في يوم آخر. افترقنا وسرت شمالًا باتجاه نوكناسيلوغ، وقد شقا طريقهما إلى الشِعب، لم أسبح ذلك اليوم فقد حدث ما يكفي، كان ذلك اللقاء كافيًا.

لقد صار الجو هادئًا تمامًا في وقت لاحقً كما يحدث دومًا، وحين كانت الشمس ترسل أشعتها الآفلة المائلة إلى النوافذ الخلفية من المنزل، خطر لي أن أذهب لرؤية التلسكوب.

أشعلت النار، وأذكر أنها قالت إن ابنهما سيكون هنا، لا أستطيع تذكر اسمه، لكنني كنت متفاجئًا لرؤيته ينهض في الغرفة الطويلة المفتوحة ذات النوافذ على الجانبين تطل على البحر. لم أكن قد رأيته منذ أن كان صبيًا صغيرًا، في ضوء معرفتي بك كان يشبهك، أو يشبهك حين التقيتك أول مرة، الشعر نفسه والطول والقوام نفسهما والسحر نفسه الذي لا بد أن جدك أو جدتك أو أحد أسلافك قد تمتع به، الابتسامة الحلوة والنظرة الثاقبة.

ابتعدت عنهما وذهبت مع بيل، الذي كان يقف بانتظاري متوترًا، نحو الدرج الصغير ثم نزلنا إلى غرفة التلسكوب.

كنت أكره أن يريني أحدهم كيف أقوم بأمر ما، تعرفين ذلك. كان تمديد مقبس أو تشغيل سيارة مستأجرة أو فهم هاتف جوال جديد يجعلني أكبر سنوات، يثير حنقاً وتوقًا مسعورًا للفرار والاختلاء بنفسي. كنت الآن في فضاء محدود ويعرض علي كيف أنظر عبر التلسكوب، كان بيل يحرك يديّ وهو يريني كيف أديره وأرفع وأضبط تركيزه، لقد كنت صبورًا معه، وقد نسيت نفسي لوهلة. كان قد ركز على الأمواج خارجًا ثم تراجع للوراء.

كنت أعرف أنه يريدني أن أحرك التلسكوب لأركز الآن على ميناء روسلار، وعلى توسكار روك، وعلى رافين بوينت، وعلى الشاطئ في كوراكلوي، وأن أتفق معه أنها كانت تُرى بوضوح حتى في ضوء المساء الشاحب هذا. لكن ما أرانيه أولًا قد أذهلني، منظر الأمواج على بعد أميال، عزلتها الوقورة والمحمومة، فتورها الضجر من قدرها جعلني أرغب بالصراخ، وأرغب بأن أطلب منه أن يتركني وحدي لبعض الوقت لأستوعب هذا. كنت أسمعه يتنفس خلفي، وقد خطر لي حينها أن البحر ليس شكلًا، إنه مقاومة، لا شيء يهم أمام هذه الحقيقة. كانت الأمواج مثل أشخاص يتقاتلون هناك، مفعمين بالوعي والإرادة والقدر وبإحساس دائم بجمالهم.

كنت أعرف وأنا أحبس أنفاسي وأراقب ذلك أنه سيكون من الخطأ البقاء طويلًا، فسألته إن كان لا يمانع في أن ألقي نظرة لدقيقة أخرى. ابتسم كما لو أنه أراد ذلك. على عكسك أنت، أنت التي لا تهتمين بالأشياء، كان أخوك رجلًا يحب ممتلكاته، فاستدرت وتحركت بسرعة مركزًا بشكل حثيث على موجة اخترتها بلا سبب، كان فيها شيء من بياض ورمادية وشيء من الزرقة والخضرة، لقد كانت خطًا، لم ترتفع في الهواء كما أنها لم تبق ساكنة. لقد كانت مفعمة بالحركة والانسكاب، لكنها محض احتواء أيضًا، مركزة كليًا مثلما كنت أراقبها تمامًا. كان فيها ركيزة أساسية، لقد كانت شيئًا قادمًا نحونا كما لو لتنقذنا لكنها لم تفعل شيئًا، وبدلًا من ذلك انسحبت في سخرية مستهجنة، كما لو أنها تقول إن هذا ما كان عليه العالم، وزمننا، كله احتمالات مرفوعة كله تعقيد وحماس مندفع، لينتهي إلى لا شيء على شاطئ صغير، ثم يعود للانضمام إلى عائلة عقيم التي انطلقنا منها وحدنا بدفقة شجاعة مماثلة، طاقة جاهلة.

ابتسمت للحظة قبل أن ألتفت. كان بإمكاني إخباره أن الموجة التي راقبتها كانت قادرة على الحب كما نفعل في حياتنا، ربما أخبر زوجة أخيك أنني غضبت قليلًا في كاليفورنيا، وربما أخبرك، وقد تبتسمين بنعومة وتسامح كما لو أنه لا بأس بذلك، فقد غضبت أنت نفسك في وقتنا، أو ربما هدأت حين تركتك، وربما ساعدتك السنوات العابرة.

في أيام السبت قبل عودتي، أثناء الشتاء وأيام يونيو الأولى، كنت أقود من المدينة إلى بوينت ريس، يرشدني برنامج الملاحة بلكنته الأسترالية إلى أي طريق أنعطف، وفي أي المسارات علي أن أكون وكم ميلًا تبقى. لقد صاروا يعرفونني في المحطة، كما يسميها برنامج الملاحة، وفي متجر الجبن هناك حيث أشتري الخبز والبيض أيضًا، وفي متجر الكتب حيث أشتري دواوين شعرية لروبرت هاس ولويس جلوك، وقد عثرت يومًا على كتاب ويليام جاس "أن تكون أزرق" واشتريته أيضًا. اشتريت فاكهة الأسبوع ومن ثم حين صار الطقس دافئًا جلست خارج مكتب البريد أتناول المحار المشوي الذي أعدته عائلة مكسيكية في كشك قرب المتجر.

كان هذا كله مجرد تأهب للرحلة إلى الشاطئ الجنوبي والمنارة. لقد كان الأمر مثل القيادة باتجاه هذا المكان، حيث أنا الآن، تقوم بانعطافة واحدة دومًا فتعرف أنك تقترب من أحد أطراف الأرض. إن لها الرائحة الخاوية ذاتها التي لقصائد شاعر قليلة أخيرة، أو لرباعية بيتهوفن الأخيرة، أو الأغاني الأخيرة التي أبدعها شوبرت. الهواء مختلف والطريقة التي تنمو بها الأشياء مصطنعة ونكدة ومأخوذة بالريح. الأفق بياض، فراغ؛ بالكاد ترى بضعة منازل، وأنت تتحرك باتجاه الحدود بين اليابسة والبحر التي ليس فيها شواطئ مضيافة أو نزل مطلية بخطوط مرحبة أو جولات مرحة أو مثلجات للبيع، بل تضم بدلًا من ذلك تحذيرات من الخطر والجروف المنحدرة.

كان هناك شاطئ طويل وبعض الكثبان في بوينت ريس، ثم يأتي البحر المنفعل والشرس، قاس جدًا على راكبي الأمواج والسباحين أو حتى المجدفين. تقول لك التحذيرات ألا تسير قريبًا منه، فقد تظهر موجة مع تيار قوي فجأة، لم يكن هنالك منقذون، لقد كان هذا المحيط الهادي بكل تعنته وصرامته، وقد وقفت هناك سبتًا بعد آخر منصاعًا للريح متحركًا بأقصى ما أستطيع من حذر على حافة الشاطئ، مراقبًا ارتطام الموجة بي ثم ذوبانها في التيار الذي يمتصها.

افتقدت الوطن.

افتقدت الوطن، كنت أذهب كل سبت إلى بوينت ريس لأفتقد الوطن.

كان الوطن هذا البيت الفارغ خلف المنحدر في باليكونيجار، بيتًا نصف ممتلئ بالأمتعة المغلفة، لوحات صغيرة ورسومات من باي إيريا، مجلة فيجا كليمنز، وبعض صور الجسور والمياه، بعض الكراسي المريحة، بعض البسط المزخرفة. كان الوطن غرفة مزدحمة بالكتب في أقصى هذا البيت، وقربها غرفتا نوم وحمام، كان الوطن غرفة كبيرة عالية في المقدمة بأرضية من الإسمنت وموقد ضخم، أريكة وطاولتان، وبعض اللوحات التي ما تزال تتكئ على الجدران بما فيها لوحة ماري لوهان التي اشتريتها في دبلن وقطع أخرى اشتريتها قبل سنوات تنتظر الخيوط والخطافات. كان

الوطن أيضًا هذه الغرفة في أعلى البيت، بنافذة في السقف، غرفة بباب زجاجي مفتوح على شرفة صغيرة حيث يمكنني الوقوف في ليلة رائقة لأنظر إلى النجوم وأرى أضواء ميناء روسلار والوميض الوحيد لمنارة توسكار روك والخط الشاحب المريح الذي تتحد فيه السماء بالبحر المعتم.

لم أكن أعلم أن تلك الرحلات الفردية إلى بوينت ريس في يناير وفبراير ومارس وأبريل ومايو، ثم العودة بسيارة مثقلة بمواد التموين، كما لو أن هنالك نقصًا فيها في سان فرانسيسكو، لم أكن أعلم أن هذا كان وسيلة لأقول لنفسي إنني كنت عائدًا إلى الوطن إلى بحري المتسامح، إلى الشاطئ الأنعم والأكثر ألفة ومنارتي الخاصة، أقل إثارة وأقل جلدًا.

لقد أبعدت الوطن عن ذهني لأنه لم يكن هذا البيت الذي أسكنه الآن فقط أو هذا المشهد من النهايات. في بعض تلك الأيام، حين كنت أقود نحو المنارة في بوينت ريس، كان علي مواجهة ما كان الوطن أيضًا. التقطت بعض الحجارة ووضعتها في مقعد الراكب الجانبي وخطر لي أن آخذها إلى إيرلندا.

كان الوطن بعض القبور حيث يرقد موتاي خارج بلدة إنيسكورثي، خارج طريق دبلن، كان هذا مكانًا لا يمكنني إرسال الطرود أو اللوحات أو الرسوم المطبوعة الملفوفة بتغليف ذي فقاعات، مع كتابة عنوان المرسل على الجانب الخلفي من الطرد إليه. لا شيء

من هذا سيكون ذا جدوى. لقد ملأ هذا الوطن أحلامي ويقظتي أكثر من أي شكل آخر للوطن. كنت أحلم أنني سأترك حجرًا على كل واحد من هذه القبور، كما يفعل اليهود، وكما يترك الكاثوليكيون الزهور. ابتسمت لفكرة أنه قد يأتي في المستقبل بعض الآثاريين إلى هذه القبور ويتفحصون العظام والتربة من حولها ويكتبون بحثًا في حضور هذه الحجارة الضالة، الحجارة المغسولة بأمواج المحيط الهادي، وسيفكر الآثاريون بالجنون والدوافع والحاجات الرقيقة التي دفعت بأحدهم أن يقطرها بعيدًا.

كان الوطن أيضًا بيتين، غادراني حين رحل والداي، فقد بعتهما في قمة ازدهار هذه القرية الصغيرة الغريبة عندما ارتفعت الأسعار كما لو أنها كانت إيكاروس الذي حذره والده دايدالوس ألا يحلق قريبًا من الشمس أو البحر، إيكاروس الذي تجاهل التحذير وذاب جناحاه تحت حرارة الشمس المشرقة. لقد جعلتني إيرادات هذين البيتين حرًا كما لو أن هذه الكلمة تعني أي شيء، لذا لم يكن علي العمل ثانية مهما امتد بي العمر، وربما لن يكون علي أن أقلق أيضًا، رغم أن هذا يبدو الآن مثل نكتة لاذعة لكن يمكنني مشاركتها والضحك منها بمرور الأيام.

سأنضم إليهما في واحد من تلك القبور، هناك مساحة متروكة لي. سأذهب في أحد تلك الأيام وأقف في المقبرة وأتأمل الضوء على نهر سلاني، الجمال البسيط للضوء الإيرلندي الرمادي فوق

الماء، وأعرف أنني، مثل أي شخص آخر حي، سيتحتم علي أن أرقد أخيرًا في العتمة على مر الزمان، وكل ما أملكه في أثناء ذلك هو هذا البيت، هذا الضوء، هذه الحرية، وإن امتلكت الشجاعة فسأمضي أيامي مراقبًا البحر، منتبهًا لتغيراته والأصوات التي يصدرها، متفحصًا الأفق مصغيًا إلى الريح أو مستمتعًا بالهدوء حين لا تهب الريح. لن أحلق، حتى في أعمق أحلامي، قرب الشمس أو البحر، فقد فاتت الفرصة لفعل كل ذلك.

أتمنى لو أنني كنت أعرف كيف صنعت الألوان. كنت أنظر في أحد الأيام حين كنت مدرسًا خارج النافذة وخطر لي أن كل شيء كنت أقوله يسهل اكتشافه وقد خمن قبلًا. لكن هنالك حجر مستطيل صغير جلبته من الشاطئ وكنت أنظر إليه بعد ليلة عاصفة ونهار من السماوات الرمادية فوق البحر. إنه الصباح المبكر هنا في بيت لا يرن فيه الهاتف والبريد الوحيد الذي يصل هو الفواتير، لم أخبر أحدًا بعد سوى زوجة أخيك، لا أحد ممن أعرف في البلدة أو المدينة، بأني قد عدت.

لاحظت الحجر لرقة لونه مقابل الرمل، خضرته الفاتحة بعروق بيضاء. بدا أنه، من بين كل الحجارة التي رأيتها، يحمل علامة غسله بالموج، كان لونه قد ذاب في الماء، لكنه مع ذلك بدا أكثر حيوية لذلك السبب كما لو أن الصراع بين لونه قبلًا واللون الذي قدمه له الماء المالح كان قوة صامتة.

كنت أضعه على المكتب. لا بد أن يكون البحر قويًا بما يكفي ليهزم كل الحجارة ويجعلها بيضاء، أو يجعلها موحدة الشكل كما كانت حبات الرمل موحدة. لم أكن أعرف كيف تصمد الحجارة أمام البحر. حين كنت أمشي البارحة في الأصيل الرطب، جاءت الأمواج لتخشخش الحجارة على الشاطئ، حجارة أكبر من الحصى بألوان مختلفة. أدير هذا الحجر الأخضر الذي جلبته من الوطن، فأرى أنه في أحد جانبيه كان أقل نعومة كما لو كان محل التحام أو كسر، وأنه كان مرة جزءًا من كتلة كبيرة.

لا أعرف كم كان سيمكث هناك، لو أني لم أنقذه، ليس لدي فكرة عن دورة حياة الحجر على شاطئ ويكسفورد. أعرف ما الكتب التي كانت جورج إليوت تقرأها عام 1876، وما الرسائل التي كتبتها والجمل التي ألفتها، وربما كان ذلك كافيًا لي، أما الباقي فقد كان علمًا وأنا لست عالما. من المحتمل إذن أنني لم أدرك مغزى معظم الأشياء، سكون النهار الرقيق، تحليق السنونو، وكيف تظهر هذه الكلمات على الشاشة حين أكتبها، وخضرة الحجر.

سيكون علي اتخاذ قرار قريبًا. سيتعين علي مهاتفة شركة تأجير السيارات في مطار دبلن وأن أمدد الوقت الذي سأبقي فيه السيارة بحوزتي، أو سيكون علي إعادة السيارة. وربما أستأجر سيارة أخرى، أو أعود هنا دون سيارة، أبقي فقط الدراجة الهوائية وبضعة أرقام لسيارات الأجرة، أو أن أغادر نهائيًا. حين خمدت

العاصفة في وقت متأخر من ليلة البارحة ولم يعد هنالك صوت، اتصلت بالإنترنت للبحث عن تلسكوب ناظرًا إلى الأسعار ومحاولًا العثور على الذي أرانيه بيل، والذي وجدته سهل الاستعمال. كنت أدقق في الوقت الذي سيستغرقه التسليم، وفكرت في انتظار هذا المفتاح الجديد إلى الأمواج لأسبوع أو اثنين أو ستة أسابيع، مراقبًا من منزل أحلامي وصول حلم جديد، انتظار شاحنة تسير على هذا الممر بطرد كبير. لقد طلبته أيضًا وبدأت، على مهل، التركيز على خط متعرج من المياه، قطعة من العالم لا تكترث بحقيقة وجود اللغة، وجود أسماء لوصف الأشياء، ونحو وأفعال. كانت عيني، منفردة مفعمة بتاريخها، متلهفة للهرب والشطب والنسيان؛ إنها تراقب الآن، تراقب بشدة، مثل عالم يبحث عن علاج، مصممة لبعض الأيام أن تنسى الكلمات، وأن تعرف أخيرًا أن أسماء الألوان، الأزرق الرمادي المخضر للبحر، بياض الموجات، لن تتعارض مع اكتمال مراقبة الفوضى الغنية التي تثمرها وتحملها.

أي يي (1976)

كاتب صيني، اسمه الأصلي أي غوشو. عمل في بداية حياته في سلك الشرطة وفي التحرير الأدبي، قبل أن يتفرغ للكتابة في عمر الثانية والثلاثين. نشرت أولى رواياته في الصين عام 2012، كما نشرت له صحيفة الجارديان عددًا من القصص القصيرة، بالإضافة إلى مجموعة قصصية باللغة الإنجليزية بعنوان "اللص التافه".

يقول: "أعتقد أن واحدة من أهم مهام الكاتب فهمه للناس الذين يراهم في المجتمع عادة، وقد استطعت فعل ذلك أثناء عملي في مركز الشرطة، إذ تمكنت من معرفة عادات أهل الريف وطريقة تفكيرهم، والذين لا يأتون إلى مركز الشرطة إلا لو تعرضوا للأذى أو سببوه لأحدهم. إن مركز الشرطة مكان تسمع فيه القصص، كالمسرح تمامًا".

اللعنة

يمكن لدجاجة أن تختفي بسهولة كما تختفي حشرة. وكانت مالكة هذه الدجاجة المختفية هي شونغ يونغليان، قد استنتجت أن جارتها وو هايينغ كانت مسؤولة عن هذا الاختفاء. وقد كان هناك دليلان يجرّمانها؛ الأول أثر براثن ينتهي في بستان خضار وو، والثاني أن منزلها كانت تفوح منه رائحة يخنة. لم تكن وو هايينغ من نوع النساء الذي تحب أن تخطئ بحقها؛ فقد كانت امرأة تحب الشجار وقد تحرق منزلك أيضًا إذا أحبت أن تواصل القتال. لو أن ولد شونغ يونغليان بعبوسه الكئيب الذي لقاتل كان موجودًا، قالت في نفسها، لكنه لم يتصل بها أو يرسل بعض المال منذ زمن طويل.

اقترب المساء واتضح جانبان من المشكلة لشونغ يونغليان، أولهما أن وو هايينغ كانت هي من دمر علاقتهما الطيبة ظاهريًا، وسيتطلب الأمر أكثر من قدرات شونغ الضعيفة لإحلال السلام، وثانيهما رغم أن اختفاء دجاجة ليس بالكارثة أساسًا لكنها لم تستطع التغاضي عنه. ولو انتظرت شونغ حتى الغد فسيهدأ غضبها، ولذا فقد قررت أن تتجول في القرية، "هل رأيت دجاجتي؟" كانت تسأل كل من تقابله. "رأيتها آخر مرة في الجانب الشرقي"، كانت قد تعلمت هذه الحيلة من زوجها،

عليك تحضير ملعبك أولًا، قال لها حين كان يحتضر من المرض الذي قتله. تقدمت شونغ يونغليان أخيرًا نحو منزل وو هايينغ "من قد يكون سارق دجاجتي؟" كررت ثلاث مرات.

"ما الأمر؟"، سألتها وو هايينغ.

"أحاول العثور على سارق دجاجتي"، وما أن خرجت الكلمات من فمها حتى شعرت شونغ يونغليان بالدوار لإعلانها الصريح للحرب. "ستعود ثانية حين تريد ذلك"، أجابت وو. "وماذا لو أنها قد ماتت وأكلت؟" جددت شونغ استفزازها، وأبعدت نظرها بسرعة، ففهمت وو هايينغ أخيرًا "هل تظنين أنني أخذتها؟"

"أخبريني أنتِ"، قالت شونغ يونغليان واستدارت لتغادر، فجرتها وو هايينغ من كمها، فأبعدتها شونغ "تبًا لك، أتمنى أن تموتي".

"هل تقولين إنني من أكل دجاجتك؟"، صرخت وو هايينغ.

"لا، لكنك قلت ذلك لتوك."

"متى؟"

"إن أكل دجاجة أمر سهل ونظيف كفاية بما لا يترك أي دليل."

كان المطر يهطل بغزارة. جذبت وو هايينغ شونغ يونغليان —المرأة النحيلة- من ياقتها بعنف وأخذت تحدق في وجه متهمتها، ثم صفعتها بقوة. سال الدمع والدم من عيني شونغ يونغليان وأنفها وقد تلوى وجهها من الإذلال المضاعف. وحين كانت

وو هايينغ تتأهب لتضرب مرة أخرى، تذكرت شونغ زوجها الراحل وهجمت بشهقة من الغضب الكئيب على وو هايينغ التي فقدت توازنها للهجوم المفاجئ، أمسكت، وقد نهضت على قدميها، بشعر شونغ (بسهولة كما لو أنه حزمة من الحشائش) ولوته بشدة ساحبة إياها إلى الأرض. حين وصل الشهود، كانت شونغ مستلقية تصيح طلبًا لزوجها الميت وابنها الغائب بينما تقف وو هايينغ قربها متجاهلة نداءات زوجها للدخول إلى المنزل. "هي من بدأت"، أوضحت وو، "قالت إنني سرقت دجاجتها". ضربت شونغ الأرضية الإسمنتية بقبضتيها "أيتها العاهرة الوقحة". حاولت بضع نساء مساعدتها لتنهض لكنها رفضت ذلك، وأخذت يداها وقدماها تتشنج.

"إنها تدعي ذلك" قالت وو هايين. غ

"اخرسي فقط"، قال زوجها. لكنه لم تنته مع ذلك حتى بعدما سحبها إلى الداخل. "سمعتموها جميعًا: قالت إنني سرقت دجاجتها، اللعنة عليّ إن فعلت ذلك"، نهضت شونغ وسددت إصبعًا باتجاهها "إن كنت قد سرقت دجاجتي فليمت ابنك نهاية العام، وإن لم تفعلي فليمت ابني".

"إن سرقتها فليمت ابني"، قبلت وو هايينغ شروط اللعنة.

"ما زلت لا أصدقها"، همهمت شونغ يونغليان. وشعرت وهي تبكي وحدها تلك الليلة أن الكلمة الأخيرة قد خففت الظلم

الذي تعرضت له. عادت الدجاجة إلى المنزل في الصباح التالي ملساء بفعل المطر مثل ناسك رث الثياب خرج من عزلة وهي تخربش الأرض وقد لُفت خرقة حمراء حول ساقها، فحملتها داخلًا وذبحتها بهدوء.

كانت شونغ يونغليان تشعر بالذنب كلما رأت وو هايينغ إلى أن أدركت يومًا أنه حتى وإن كانت وو هايينغ لم تسرق دجاجتها فهذا لا يعني أنها امرأة صالحة، أو أنها لم تكن لصة، فقد تذكرت الطعم المر المالح لدمها ودموعها، وسحب وو هايينغ لها من شعرها وإسقاطها على الأرضية الإسمنتية.

كلما صادفت المرأتان بعضهما بعضًا كانت شونغ تجاهد في مجاراة نظرة غريمتها المحتقرة. بسطت غطاء بلاستيكيًا على السياج حول حظيرة الدجاج لتمنعها من الهرب بعيدًا، وطلبت من زوج ابنتها أن يكتب "الموت للصوص" على قطعة من قماش أحمر ملفوفة حول ساق كل دجاجة.

حرصت المرأتان على ألا يكون لإحداهما شأن بالأخرى.

لم يكن للقرية حديث مع اقتراب الشهر الأخير من السنة القمرية سوى عودة ابن وو هايينغ من دونغوان، فقد عاد يقود سيارة بويك بيضاء كانت تمشي محدثة ضجيجًا على العشب المتجمد وحجارة الطريق في القرية. كان قد سحب المكابح اليدوية وخرج صافقًا الباب خلفه في تبجح موظف في المكتب السياسي

الشيوعي، ثم ضغط جهاز التحكم فصاحت السيارة الساكنة كما لو كانت تصرخ خوفًا. وخرجت من السيارة أيضًا فتاة – لم تكن من الجوار بالتأكيد – في أوائل العشرينيات من العمر، تنظر إليه بإعجاب، كان وجهها الأبيض الناعم صغيرًا يمكن احتواؤه براحة اليد، وكانت عيناها تلمعان بجمال عزاه القرويون إلى الفتيات الأجنبيات لا الصينيات، كان شعرها مصبوغًا بلون الغروب الأحمر ومقصوصًا فبدا قصيرًا كثيفًا. ورغم أن الفصل كان شتاء إلا أنها لم ترتد شيئًا سوى قميصًا رماديًا ضيقًا وبنطالًا أسود من الجلد، وكانت ثيابها ملتصقة بجسدها النحيل وساقيها الطويلتين، وكانت تبتسم ببساطة لجمهورها كاشفة عن أسنان كاللؤلؤ.

"ادخلي يا شي شي"، أخبرها غوهوا، واختفت منصاعة داخل منزل وو هايينغ، لقد كانت حقًا أجمل شيء رأته القرية. طوال اليوم كان القرويون مضطربين بحس فضولي من الفراغ وبافتتان ضجر. أبقاها غوهوا داخل المنزل إلى أن قالت لهما وو هايينغ أن يقوما بجولة حول القرية، فأخذها لرؤية عدد من أقاربهم. في المقابل، وكان وجه وو هايينغ، التي كانت تلبي النداءات دومًا، مشعًا بالبهجة. كانت تعرف ما الذي ستسمعه حين بادر كل ضيوفها في الثناء على حظها الطيب. "لم يوافق والداها بعد" كانت تجيب في محاولة للتواضع، وحين كانت محدثها يفشل في قول شيء بعد "عاجلًا أم آجلًا إذن" كانت تقول "لقد تبادلا الخواتم كما تعرف". لقد كانت مبتهجة جدًا لدرجة نسيانها السخرية من شونغ يونغليان التي شعرت إن إذلالها قد اكتمل الآن.

انطلقت شونغ إلى البلدة حيث طلبت من صاحب كشك للاتصالات العامة أن يتصل بالرقم المكتوب على قصاصة الورق التي أعطتها له. كانت تود إخبار ابنها غوفينغ أنه عليه أن يعود بفتاة معه للسنة الجديدة، حتى لو اضطر للدفع لها. لم يكن هناك رد بعد عدة محاولات. "حاول ثانية" ألحت شونغ يونغليان على الرجل. "هل ضغطت رقمًا خطأ؟" وحين حاول المرة التالية، قام أي يكن على الطرف الآخر بإغلاق السماعة. لقد كان غيوفينغ منعزلًا دومًا، فلم يخبر أمه مرة بمكان عمله أو اتصل بها في البيت، وكان يقول لها "أنا لا أهتم بشأنك" إن صرحت بقلقها عليه، "أليس لديك أمور أفضل لتهتمي بها؟". كان يأتي كل عام تقريبًا إلى البلدة للسنة الجديدة، ويعود بعد حلول الظلام بوقت طويل حافي القدمين نازف الوجه، ولم يكن يخبرها أبدًا بما حدث له. ذات سنة لم يذهب إلى البلدة لأنه كان يساعد عمه ببعض أعمال النقل، وحين مرض العم هرب بالشاحنة إلى أنهوي في الجنوب الشرقي، واتصل بالمنزل لاحقًا ليقول إن الشاحنة قد تعطلت، فسافر العم قاطعًا مئات الأميال عبر الصين وعثر على الشاحنة وبابها مفتوح وما زالت المفاتيح متروكة في المحرك، ولكن دون أثر للسائق، "كان عليك أن ترمي كومة الخردة هذه منذ عصور" كان هذا كل ما قاله غيوفينغ عن الأمر لاحقًا.

ذهبت شونغ يونغليان إلى مركز الشرطة وقد لفت وشاحًا حول فمها، فسألها أحد عناصر قوات الدفاع الذاتي عما تريد.

"لقد جئت للإبلاغ عن جريمة."

"ما اسمك؟"

"ليس مهمًا"، وضعت يدًا حول فمها وهمست في أذن محدثها:" لقد عاد غوهوا."

"من؟"

"الرجل الذي هرب بعد حادثة القمار". وخطرت لها فكرة أخرى "لقد أحضر معه امرأة، أنا متأكدة أنها عاهرة".

"شكرًا".

كان مركز الشرطة يغطي تكاليفه بمشقة من خلال الغرامات، وكل من ألقي القبض عليه من المقامرين السنة الماضية قد دفع أربعمئة يوان باستثناء غوهوا الغائب، وإن لم يدفع سيبدأ الناس بالحديث عن ذلك بعد رحيله، فلمَ يفعلون ذلك؟

بعد بضعة أيام أرسل المركز شرطيًا وسائقًا وواحدًا من عناصر الدفاع الذاتي لإلقاء القبض على الفريسة. حين جروا غوهوا إلى الخارج مقاومًا مثل أرنب في شرك، لحقت بهم شي شي طوال الطريق إلى السيارة "لماذا؟ لماذا؟" كانت تنشج مثل واحدة من أولئك النسوة في إعلانات الصابون.

"اغربي عني"، صرخ بها رجل الدفاع الذاتي، وقد بدا أنه حلق شاربه مثل ستالين. بدأت شيشي تضربه بقبضتيها وهي تصرخ

بشتائم مقذعة بلكنتها المندرينة الجميلة. "بأي حق تلقون القبض عليه؟ ألا يعني القانون شيئًا للشرطة؟" توقفوا قليلًا لسذاجتها الجميلة ثم أخذوه في غيمة من غبار.

عندما عادت وو هايينغ إلى المنزل من جلب العلف للخنزير وسمعت بما حدث، فقدت الوعي بينما أقعت شيشي قربها منتحبة. كانت شونغ يونغليان تراقبهم من النافذة مبتسمة، وخطر لها أنهم نالوا جزاءهم، لقد نالوا جزاءهم، كررت بصوت عالٍ وهي تسير نحو منزلها.

عاد غوهوا بعد نصف ساعة وقد فر من آسريه بطريقة ما، ثم صعد، بعد أن قبل جبهة شيشي، إلى الطابق العلوي داخل دلو في غرفة دراسة الحبوب، وقال" أخبريهم فقط أنني هربت إلى الجبال". عند الغروب عاد فريق التحقيق إلى القرية ثانية، وقد اقتحموا منزل وو هايينغ وبدأوا يفتشون المكان بلا اهتمام، "أين هو؟" نبحوا في وجه وو هايينغ وسحبوها من ياقتها.

"لا أعلم."

"إنك تكذبين."

فأبعدت وو هايينغ نظرها.

"لقد فر إلى الجبال"، قالت لهم شي شي بتجهم.

"هرب، هل فعل؟"

"هذا ما قلته."

وجه الرجل ذو الشارب الستاليني ضوء المصباح إليها، فعضت شفتيها وهي تغمض عينيها، وقد غضنت بشرة وجهها وارتجفت رموشها التي ألقت ظلالًا طويلة على خديها.

"لقد هرب، أليس كذلك؟"

"هذا ما قلته"، قالت ثانية بجرأة أكبر.

"أين إذن إقامتك المؤقتة؟"، سألها الرجل.

"ليس لدي واحد."

"لا بد أن يكون لديك واحد."

"ليس لدي."

"إذن ستعودين معنا."

"لماذا؟"

ضربها بعنف بالمصباح، فانهارت على الأرض. "خذوها إلى الخارج"، قال الشرطي، وأخذوا يجرون جسدها الهامد من حذائها الجلدي ذي الكعب العالي. كان وجهها قناعًا من اليأس، كما لو أنها سمكة على لوح تقطيع تنظر إلى سكين ستقطع أحشاءها. ذاب أقارب وو هايينغ – الذي تجمعوا ليراقبوا– كل في منزله، وحين سحبت الشرطة شي شي في الفناء عادت القبيلة وهو يلوحون بالمكانس والقضبان والهراوات بل وحتى بالغلايين، وقد

حوصر رجال الشرطة وبدأ القتال. حاول الصوت الناعم المهزول لرجل الشرطة أن يتوسلهم ليهدأوا، لكن الوقت كان متأخرًا، ثم صاح بهم صوت في النهاية ليتوقفوا. تفرق الجمع ليسمحوا للزعيم الشاب- الذي عاد منتصرًا في سيارة بويك، الزعيم الشاب الذي اختبأ في حجرة درس الحبوب- ليسمحوا له بالمرور. لقد مر عبر الحشد مثل ثائر حاملًا سكين مطبخ وغرس سلاحه في ذراع الرجل ذي الشارب، وقد أغمض الجميع أعينهم مذعورين للحظة بالمنطق الجديد للحالة، حتى غوهوا نفسه بدا غير مصدق ما فعله وتوقف بعد أن سحب السكين، كانت الوحيدة التي صاحت به في ذهنها هي شونغ يونغليان تحرضه على المتابعة " تابع! اطعنه ثانية! سيكون في ذلك موتك أيضًا!" فطعنه غوهوا ثانية.

لم يكن هناك دم أو حتى صوت، وبدت عملية القتل طويلة بشكل لا يحتمل، حتى بالنسبة للضحية الذي قبض على السكين حاضًا قاتله أن يتوقف عن استخدام ظهر النصل. انتزع غوهوا، بعد أن أدرك كم كان عجزه مهينًا، رمحًا خشبيًا بدلًا عن السكين، وقبل أن يكون مستعدًا لتسديد الضربة القاضية تمكن ممثلو القانون الثلاثة من الإفلات من قبضة مهاجميهم وتفرقوا مثل قطيع حيوانات خائفة خارج القرية، واختفوا في المتاهة المعتمة من الدروب والطرق الفرعية.

لم ترسل الشرطة أحدًا أبدًا، فقد اتصل أحد أقارب وو هايينغ في إقليم العاصمة بلجنة الحزب الإقليمية؛ وتحدثت اللجنة إلى الأمن

العام الذي ألغى إرسال الميليشيا المؤلفة من ثمانية عشر إلى القرية. وحين أبلغ الأمن العام الشرطة المحلية أن تترك غوهوا وشأنه، وافق قريب وو هايينغ على ترك الأمن العام وشأنه، ورغم ذلك لم يتمكن غوهوا وحبيبته الخائفة من مغادرة المكان بسرعة كافية.

عاد عمال القرية المهاجرين من أجل الاحتفال بالسنة الجديدة، جالبين معهم بعض العجائب مثل البطاقات الموسيقية والهواتف النقالة الذهبية والسجائر عديمة الدخان. تجولت شونغ يونغليان عند مدخل القرية منتظرة عبثًا أن تلمح قوام ابنها الطويل، وسألت العائدين الآخرين إن كانوا يعرفون مكان عمل غوفينغ، ولكن لا أحد كان يعرف.

عادت إلى البلدة لتتصل بهاتف غوفينغ النقال ثانية، ولكن الرقم كان خارج الخدمة، كما قال الرجل. وهذا يعني، كما شرح لها، أنه لم يعد أحد يستخدم الهاتف، ربما لم يسددوا الفاتورة أو ربما سرق الهاتف. كانت غواندونغ تغص بالنشالين الذي يركبون الدراجات النارية فيسلبونك وهم يجرونك أرضًا، لعدة أمتار أحيانًا.

غفت ذات يوم في كرسي بعد أن أرهقتها ليالي الأرق، فحلمت أن غوفينغ عاد ولدًا صغيرًا ثانية لكن وجهه كان أبيض وصوته همس، فغرفت له بعض العصيدة التي خلطت معها دواء ما وطلبت منه أن يأكل. لكن غوفينغ اكتفى بالنظر إليها بأسى

وهو يهز رأسه، فاستحوذ القلق على قلبها. وبعد أن وضعت الطبق جانبًا وجدت أن كائنًا كبيرًا له لون الحبار قد تمدد على الفراش، وقد اكتسى صدره الهزيل بالأوتار الليفية والعظام، وكانت أطرافه مثل سيقان أرنب مسلوخ. كانت بعض أعضائه الداخلية الهائجة قد ثقبت وأخذ الدم الداكن يسيل على الأرض، وقد كان نصف مقعٍ ويده اليمنى منبسطة مقابل لوح السرير، وساقاه المنحنيتان تتقوسان وهما تحاولان رفع الجسد المنهك، وقد انزلق اللحاف القطني الذي كان يغطيه. كان رأسه الذي له شكل حصاة أصلع وبلا ملامح تقريبًا، باستثناء فم واسع عطن مسلح بأسنان طويلة حادة، وحين كان يجاهد كي يتنفس كان خداه ينتفخان ثم يتقلصان. تمكن الكائن أخيرًا من التشبث بها وهو يترنح كما لو أنه على وشك السقوط، فاستيقظت، وشعرت بألم بارد في رسغها.

انطلقت إلى منزل ابنتها ووجدت صهرها يلعب الورق في الشمس.

"لم أعرف شيئًا عن غوفينغ بعد، وقد رأيت حلمًا فظيعًا: لقد نبت له جناحان وذيل وقد كان ينزف دمًا". لم يقل زوج ابنتها شيئًا. "هلا ذهبت وبحثت عنه من أجلي؟ ألا ترى قلق أخته عليه؟"، نظر الصهر إلى شونغ يونغليان مصممًا ألا يقول شيئًا مما كان على طرف لسانه. "أرجوك، أنت صهره، وهو ابني الوحيد."

"وكيف يفترض بي العثور عليه؟"

"أنا متأكدة أنك تستطيع التفكير بوسيلة ما، أتوسل إليك."

"إن الصين بلد كبير. وأنا لا أعرف في أي إقليم هو."

"أعرف أنك تستطيع العثور عليه، أنتم الشباب أذكياء جدًا، أعده من أجل السنة الجديدة، ويمكنه أن يفعل ما يشاء بعد ذلك، أنا مريضة وقلقة وأريد أن أراه فقط".

وقف صهرها وتشبثت شونغ يونغليان بركبتيه فجأة، وقد تبلل وجهها بالدموع، "أخشى أن يكون ميتًا".

"ماذا بحق.... حسن" وافق حين رأى زوجته تقترب.

"أقسم على ذلك."

"أقسم."

أمضى صهر شونغ يونغليان، بعد أن قبض منها خمسمئة يوان، يومًا في إقليم العاصمة ثم عاد دون أن ينفق المال. لقد صادف لي يوانرونغ من القرية الأخرى، كان يكذب، الذي وصلته رسالة من غوفينغ يقول إنه سيعود خلال أيام قليلة. وعندما رفضت شونغ يونغليان تصديقه، اتصل بلي يوانرونغ الذي أخبرها بنفسه أن "غوفينغ سيعود قريبًا"، فهو يعمل مقابل ألف يوان في اليوم، وهو يحاول أن يجمع المال بقدر استطاعته قبل عودته". وقبل أيام من السنة الجديدة، عاد قروي يدعى غوغوانغ، كان يعمل في غواندونغ- وأيد رواية لي غوانرونغ. كان غوفينغ يعمل في المصنع

المجاور، قال، وكان يعمل وقتًا إضافيًا الأيام القليلة الماضية، لقد كانوا يدفعون له أضعاف المبلغ المتعارف عليه؛ أربعمئة يوان في اليوم. وقد طلب منه غوفينغ أن يبلغهم أنه عائد في ليلة السنة الجديدة.

"كيف حال غوفينغ؟"

"ما زال لا يتحدث كثيرًا، وقد أطال شعره مثل شاعر."

كانت شونغ يونغليان تعرف لم يسعى غوفينغ جاهدًا لكسب المال. في يوم السنة الجديدة من كل عام كان العمال المهاجرون يلتقون في معبد في قرية يو القريبة للعب الورق. وتبدأ المراهنات من بضع مئات أو بضعة آلاف من اليوانات، ثم تتزايد بسرعة إلى عشرات أو مئات الألوف. كان معظمهم يقامر بكل المال الذي عملوا جاهدين طوال العام لكسبه، ثم يقترضون قليلًا من المال ليشتروا تذكرة القطار للعودة جنوبًا. العام الماضي كسب غوفينغ في الأيام الأربعة الأولى، ثم خسر كل شيء في اليوم الخامس، وقد عاد إلى المنزل محمر العينين وتناول طبقًا من العصيدة ثم غادر.

في صباح اليوم الأخير من السنة القمرية، أعدت شونغ يونغليان يخنة الدجاج والإوز ولحم العجل والخنزير، وحضرت الخضار وصنعت حساء التوفو، وعند منتصف النهار صار كل الطعام باردًا، لكنها ظلت تنتظر مثل امرأة تترقب حبيبها هشة جدًا بأمل أن تخرج وتبحث عنه بنفسها، كانت تنتظر دخوله ونداءه لاسمها، كانت تنتظر أن تستدير وتبتسم له.

"غوفينغ."

"أمي."

كانت هاتان الكلمتان كل ما أرادت سماعه، ولكن حين غابت الشمس واستقر التراب على الطريق، لم يربك شيء هدوء السنة الجديدة، كانت القرية هادئة باستثناء أصوات بعيدة لأطفال يطلقون الألعاب النارية. حل الظلام كما لو أن دلوًا من الحبر قد سكب فوق القرية، وجلست شونغ يونغليان على عتبة بيتها باكية.

عند الساعة الحادية عشرة، عندما أغلق كل منزل بابه وحين كانت شونغ يونغليان نفسها على وشك إغلاق الباب ليلًا، لمع مصباحا سيارة أماميان بشحوب في الأفق، فتحجرت كلما اقتربت السيارة التي كانت من الواضح أنها تتجه نحو القرية، ثم سمحت لنفسها أن تتحمس وبدأت بالسير نحو الضوء وأخذت تجري.

تجاوزتها الشاحنة.

جلست على جانب الطريق وأخذت تبكي، وجسدها يؤلمها وقد مزقت الحصى نعلي حذائها، وكشطت ركبتاها من السقطة. لم يكن ابنها عائدًا، ولكن حين كانت على وشك أن تهجر الأمل انعطفت الشاحنة وعادت نحو القرية وتوقفت قرب منزلها، ما يزال المحرك يعمل.

ركضت إلى البيت.

خرج غوفينغ حاملًا حقيبة رخيصة رماها على الأرض وأخرج مئتي يوان من جيب بنطاله وسلمها للسائق. لقد كان باردًا كما لو أنها كانت تمسك سمكة ميتة، وكانت أصابعها تنزلق على شيء فاسد نتن، وقد جوف إبهامها رسغ ابنها المحطم إلى عظمه الأبيض الصلب مباشرة. كان ذراعه قرمزيًا بلون العفن، بلون الباذنجان، فرفعت قميصه الصوفي؛ كان جذعه كذلك، وقد قاطعت صدره عروق قرمزية كالقنوات. وحين حاولت رفعه من الخلف تدلى رأسه كما لو أنه فُصل عن جسده، وقد فاحت من فمه المفتوح رائحة مادة كيميائية.

كانت الدقائق الثلاثة كافية لطبيب البلدة. "لقد دُمر جسد ابنك" قال لها حين خرج من الجناح، وقدا بدا غاضبًا لذلك. "كل شيء، الأعضاء، الجلد، العظام. لقد تعفن حتى الموت". استأجرت سيارة لتعيد غوفينغ إلى القرية ودفنته بهدوء.

بعد ما حل الربيع، جاء متدرب من المركز الإقليمي للمساعدة القانونية باحثًا عنها. حدقت شونغ يونغليان — التي تحول شعرها بالكامل إلى الأبيض- بجهل وهو يشرح مفاهيم مثل التسمم بالرصاص والحد الأقصى لساعات العمل، والصحة والسلامة. حاول بعدما غير طريقته أن يشرح لها موت غوفينغ بالمحاكاة؛ فكري بالمصانع الكيماوية التي بناها اليابانيون عند احتلالهم للصين، لقد كان ابنك يعمل في مكان سام أكثر. مضت شونغ يونغليان ببساطة وهي تهز رأسها.

"أريد مساعدتك فقط، لن يكلفك الأمر شيئًا."

"لا."

"هل ستدعين ابنك يموت بلا مقابل؟"

"لا أحتاج مساعدتك"، ومضت في طريقها إلى منزل جيرانها ببطء شديد، كما لو أنها كانت تتعافى من مرض. حين رأت شونغ يونغليان تجلس على عتبة بيتها، جلبت وو هايينغ لها مقعدًا لتجلس عليه، "الأرض باردة جدًا للجلوس عليها."

"لقد كنت مخطئة بشأن الدجاجة."

"ششششش."

جلست وو هايينغ القرفصاء وأخذت تمسد يد شونغ. انهمرت الدموع بصمت على وجه وو، عندما كانت شونغ تحملق ببلادة في المدى القريب، مثل تلك النظرة على أوجه التماثيل الواقعية الشيوعية لشهداء الثورة. كان عامل مهاجر لم يغادر القرية نحو الجنوب بعد يعزف أغنية بوب أمريكية في واحد من المنازل قرب مدخل القرية.

في كل مكان أنظر إليه الآن

أكون محاطة بعناقك

يا حبيبي، أستطيع رؤية هالتك

أنت تعرف أنك نعمة تحميني

إنك كل شيء أحتاجه وأكثر

لقد كتب ذلك على وجهي

حبيبي، إنني أشعر بحالتك

وأصلي ألا تنطفئ

وجلستا هناك تصغيان.

الفهرس

"أنا أراك"!

هذه العبارة وصلت لبطل قصة "سنوات ضوئية" لإيتالو كالفينو، أول قصص هذه المجموعة، بطريقة غريبة، وهي الرسالة التي يرغب كل منا في إيصالها - بطريقة أقل غرابة من تلك على أية حال- لآخر يقف على الضفة المقابلة: "أنا أراك"!

هذه المجموعة هي نافذة صغيرة في غرفة كل منا (من سيقتني الكتاب طبعًا)، مثل كوّة "صندوق الدنيا" الذي يعرض صورًا عديدة تتحرك بلولب يديره صاحب الصندوق وهو يروي القصة بصوته ويعلق عليها، غير أن القارئ هنا سيكون هو صاحب الصندوق، ولن يكون الراوي بل سيصغي لخمسة عشر راويًا يحكي كلٌ منهم له قصة ما.

تبدو هذه المختارات مثل تلويحة لآخرين نبحث بينهم عن "أشباهنا في العالم"، مصافحة أولى لتعارف نقول فيه: "أنا أراك حقًا............

فهل تراني؟"


ISBN 978-9948-02-430-9



